موضوع الدرس للعام ٢٠٢٥ـ ٢٠٢٦

" الحبّ هو أبعد بكثير من الحبّ"

نصوص للأب هنري كافاريل

ترجمة: ميشلين عيراني

الفرقة المسؤولة العالميَّة

شباط ٢٠٢٥

مقدِّمة

تقترح الفرقة المسؤولة العالميَّة، على جميع الفرّق في العالم، للسنة الثانيَّة من المرحلة المُمتدَّة من ٢٠٢٤ إلى ٢٠٣٠، موضوعًا للدرس مبنيًّا على نصوص أساسيَّة للأب هنري كافاريل. كتابات جوهريَّة عن الحبّ البشريّ والزواج، كان قد نشرها، بشكل مقالات في مجلَّة " الخاتم الذهبيّ" وألقاها في محاضرات، جُمِّعَت تحت شكل مُختارات عن الحبّ وسرّ الزواج، في كتاب بعنوان " الزواج، مغامرة قداسة" [1]

نجد أنفسنا أمام الفرصة العظيمة للذهاب إلى جذور الفكرة العميقة التي أحدثت ثورة في التصوُّر عن الزواج الأسراريّ في الكنيسة والمثال الأعلى له، والتي مازالت حيَّة اليوم أكثر من أيّ وقت مضى. لا يمكن لأعضاء الفرق أن يكتفوا بإعادة قراءة بعض العبارات أو المقاطع المنعزلة عن إطارها والتي تُشكِّل مقتطفات نقتطعها كما يحلو لنا. إذا أردنا أن نكون أمينين لدعوتنا كأزواج مسيحيين جمعهم سرّ الزواج، يجب أن نكون مُنَشئين بشكل جيّد لنتمكَّن من شرح غنى هذا السرّ. يمكن أن نفكِّر أنّنا عالجنا هذا الموضوع مرات عديدة على مدى تاريخ الفِرق. لكنَّنا نؤكِّد لكم، أن دراسة هذه النصوص طوال سنة كاملة، تدفعنا إلى الغوص إلى الجذور الأعمق لدعوتنا الزوجيَّة. هذا الأمر سيسمح لنا أيضًا بالإصرار على توجّه هذه السنة الثانيّة : **" نحن مدعوون لنعيش بشركة مع الزوج ".** الحياة المُعاشة بشركة زوجيّة كاملة، تعطينا القوّة للقيام برسالتنا كزوجين مسيحيين في العالم الذي يحيط بنا، ونشعر أنّنا أكثر صلابة، لنكون علامة حضور الله في عالم يحتاج إلينا.

ندعوكم لتلقي، باحترام وإعجاب مطلقين، هذه النصوص التي تلائم الجميع، المتزوجين حديثًا والذين لديهم مسيرة زوجية طويلة. كما إنّها تساعد المستشارين والمرافقين الروحيين للولوج إلى قلب الزواج الأسراريّ. علينا أن نكون مُدركين للغة المُستخدمة آنذاك من قِبَل الأب هنري كافاريل، والتي لا يمكن أن نشوّهها، وأسلوبه في الكتابة مع المراجع الثابتة للأدب الفرنسيّ، التي قد تتطلَّب منّا بذل جهد إضافيّ في قراءتنا. صحيح أنّ هذا الأمر لا يسمح لنا بالقيام بقراءة سريعة في اللحظة الأخيرة، لكن صحيح أيضًا أن يكون الأمر خسارة حقيقيّة إذا لم نقم بقراءة عميقة وهادئة للموضوع، أن لا نستمتع به، ونكرّره ونحفظه في قلبنا.

[1] هنري كافاريل، الزواج، مغامرة قداسة، كلمات وصمت، ٢٠١٣

اخترنا فقط بعض الفصول من الكتاب، التي قُسِّمَت بدورها لتتماشى مع شكل موضوع الدرس. تمَّت المحافظة على أغلبيَّة النصوص بكاملها، وإذا ما اقتُطِعَ منها مقطع، أشيرَ إليه بهذا الرمز (...). كذلك احترمنا بعض التعابير الجديدة التي كان يحبّ الأب هنري كافاريل ابتكارها إنطلاقًا من كلمات موجودة أصلاً، بهدف التعبير عن فكرته بشكل أفضل. هذه التعابير الجديدة وُضِعَت بين مزدوجين.

يُكَمِّل كلّ فصل بمجموعة اقتراحات لواجب المجالسة، الذي سنوليه الأولويَّة هذه السنة، إنطلاقًا من أفكار واقتراحات أسئلة، مع اقتراحات لاجتماع الفرقة. هذه المواد ليست مأخوذة من نصوص للأب هنري كافاريل كما سنشرح الأمر لاحقًا، بل تُشكِّل غوصًا حقيقيًا إلى الأعماق، وتتطلَّب منَّا بذل مجهود في الصدق والحقيقة عن حياتنا الزوجية. هكذا ندعوكم لبذل هذا المجهود للقيام بواجب المجالسة كلّ شهر، مع احتمال تكملته من وقت لآخر بأسئلة أخرى، من الأهميّة بمكان التطرّق إليها من أجل توازنكما كزوجين.

يمكن للأب هنري كافاريل، " نبيّ الزواج"، أن يساعددنا فعليًا، في هذه السنة ٢٠٢٥- ٢٦، لتجديد "النعم" التي قلناها، لنفهم بطريقة أفضل طاقات الحبّ البشريّ المُستنير بربنا يسوع المسيح، الذي يمنحنا نعمًا جديدة لسرّ زواجنا. كما كتب الأب هنري كافاريل، ستجعل دراسة هذا الموضوع محبّتنا لله تكبر.

هيكليَّة موضوع الدرس وتنظيم الفصول

تُشكِّل الفصول الثلاثة الأولى مجموعة تتوافق مع الفصل المُعنون " الحب هو أبعد بكثير من الحبّ". إنَّه نصّ نُشِرَ تحت العنوان ذاته في مجلَّة " الخاتم الذهبيّ" في عدد شهر أيار – حزيران ١٩٦٤، عدد مميَّز يتضمَّن ثمانية مقالات كتبها الأب هنري كافاريل، هذه المقالة مأخوذة من محاضرة ألقاها أمام أساتذة تعليم دينيّ، علمانيين، ورهبان يُنشِّؤون أو يرافقون الموعوظين في أبرشيَّة باريس.

نجد في الفصل الأوَّل الأقسام التالية، عن :

- السعادة ونظرة الحبّ.

يتعلَّق الفصل الثاني بالقسم عن :

- التواصل الزوجيّ.

الفصل الثالث يتعلَّق بالأقسام الأخرى ويتطرَّق إلى ما يسمِّيه الأب هنري كافاريل :

- الشعور بالنقص، كلمة تشير إلى اتحاد شخصين ناقصين، يحتاج أحدهما للآخر وللمجانيّة.

أمَّا الفصل الرابع من موضوع الدرس يتوافق مع عدّة أقسام من الفصل في الكتاب المعنون "دعوة الحبّ". نُشِر في مجلة " الخاتم الذهبيّ" في تموز ١٩٤٥، تحت عنوان:

- سرّ الحبّ.

يتوافق الفصل الخامس مع عدّة أقسام من الفصل المُعنوَن " إلى الأزواج الذين يتألَّمون"، المُكَرَّس لطرح اقتراحات عامة للمساعدة على عدم الإستسلام للبعد بين الزوجين. نُشِر في مجلَّة " الخاتم الذهبي" في عدد شهر أيار – آب ١٩٤٧ تحت عنوان :

- حبّ ومعاناة (إلى الأزواج الذين يتألّمون).

يعود الفصلان السادس والسابع من موضوع الدرس إلى نص من الكتاب المُعَنوَن " الزوجان ووصيَّة المسيح" المُنقسم إلى جزئين:

- الإعتناء بالحبّ الزوجي وتنميته.

- الشركة الزوجيَّة.

نُشِرهذا النص في مجلة " الخاتم الذهبيّ" تحت عنوان " الزواج طريق نحو الله" في عدَّد أيار – حزيران ١٩٦٤.

أمّا الفصل الثامن والأخير من موضوع الدرس :

- شهادة الزوجين

يتعلّق هذا الفصل بالجزء الأخير من محاضرة تحت عنوان " في مواجهة الإلحاد" ألقاها الأب هنري كافاريل في ٥ أيار ١٩٧٠ بعد حديث للبابا بولس السادس.

تجدون في نهاية كلّ فصل، مُلَخَّص صغير عن المحتويات الأساسيَّة والجوهريّة للفصل.

تُكَمَّل كلّ فصل دروب، تُهيء للأسئلة، من أجل تحضير واجب المجالسة، مؤلَّفة من نصّ تمهيديّ وأسئلة. النصوص التمهيديَّة مأخوذة من كتاب بعنوان " الحبّ الزوجيّ، طريق نحو الله"، عمل على تنفيذها مجموعة من الأزواج شكّلوا " ورشة عمل الزواج" L atelier du Marriage في العام ٢٠١٥. أمّا النصوص في الفصول السبعة الأولى والتي تُشكِّل دروبًا لواجب المجالسة، فهي مأخوذة من الفصل الثاني من هذا الكتاب، تتعلَّق بأنتروبولوجيا

الزوجين، في الفصل الثامن مقطعين من الفصلين ٥ و ٦ معنونين : " الأخلاق والآداب في الحياة الزوجيَّة، العائليَّة والإجتماعيَّة"، و"مكان ودور الزوجين في حياة الفرقة، العائلة، المجتمع والكنيسة" . بعد ذلك، نقترح عليكم مجموعة من الأسئلة لتحضير واجب المجالسة. ليس ضروريًا الإجابة على كلّ الأسئلة. من أجل اجتماع الفرقة، يُقتترَح عليكم نص من الكتاب المقدَّس، يمكنه أن يُوجِّه صلاتنا وأسئلة للمشاركة في الإجتماع. كما بالنسبة للزوجين والأسئلة من أجل واجب المجالسة، يمكن للفرقة أن تقرّر على أيّ سؤال ستتم المشاركة حول الموضوع وإذا ما كانت ترغب بالمشاركة ببعض الأسئلة من أسئلة واجب المجالسة، إمّا في الوقت المُخصَّص للمشاركة الروحية عن نقاط الجهد الملموسة، أو أثناء مناقشة موضوع الدرس.

الفصل الأوّل

الحب، هوأبعد بكثير من الحبّ

الحبّ الحقيقي، هو أبعد من مصادرة القلوب، فهو يُحرِّرها ويوسِّعها بطريقة غير معقولة. أقول أكثر من هذا بعد : إنَّ الخاطبين والمتزوجين حديثًا يعيشون نوعًا من حالة النعمة، أو على الأقل حالة من الإنفتاح على النعمة. لأنّه من الحبّ إلى الحياة المسيحيَّة، هناك نوع من الإستمراريّة، لأنَّ " الله محبة" [٢]

إنَّ تجربة الحبّ متعدِّدة الأوجه، يجب تجزئتها إلى عناصرها الأساسيَّة، التي قمت بتقليصها بشكل تعسّفيّ إلى خمسة عناصر : السعادة، نظرة الحبّ، التواصل، الشعور بالنقص، المجانيَّة.[٣] إذا ما قمنا بتحليل كلّ من هذه العناصر المتعلّقة بتجربة الحبّ، نرى كيف أنّ كل عنصر مُوَجَّه نحو عالم النعمة.

السعادة

إنَّ ظهور السعادة هو التجربة الأولى للذين يصادفون الحبّ. سعادة جديدة، ثاقبة، مُلحَّة، نقيَّة، موسِّعة، مُبهِجة. سعادة غير معروفة حتى ذلك الحين.

" صحيح أنني سعيدة.

في الفرح، أنام وأستيقظ، وأعود للنوم في الفرح.

أتمنَّى أن أمتلىء بمزيد من الفرح

حتى أتمكَّن من إعطائه لمن أحبّ، أكثر فأكثر!"[٤]

هذه هي كلمات الشابة Violaine، التي يمكن أن تكون كلمات كلّ الذين اكتشفوا الحبّ.

نسمع العشاق الشبان يتحدّثون عن " الخلاص". أجل، يُدركون فجأة أنهم خُلقوا من أجل السعادة، وهذه السعادة قد مُنِحَت إليهم للتو. لقد تمَّ إنقاذهم من المصائب، من الشر وأُنقِذوا أيضًا من عبثيّة وجود مُجرَّد من أيّ معنى. من الآن فصاعدًا، يعرفون دعوتهم : إنها السعادة!

---

[2] " الخاتم الذهبيّ العدد ١١٧-١١٨، الزواج طريق نحو الله، أيار- آب ١٩٦٤ ص. ١٨٢-٢٠٠

[3] في هذا الفصل، سنرى السعادة ونظرة الحبّ. في الفصول التالية، المواضيع الأخرى.

[4] Paul Claudel, La jeune fille Violaine en Theatre, La pleiade, Gallimard, 1964, p.577

سعادة أخرى

دون أدنى شك، يحرص الربّ على أن يقوم كلّ كائن بشري في مسيرة تطوّره باختبار السعادة. لأنَّه يهتم بأن يتذوَّق الإنسان السعادة، ليس فقط أن يتذوّقها بل ويختبرها أيضًا، ليعرف أنَّها ممكنة. وبالتالي يرغب بها، ويُطاردها. الله حريص على هذا الأمر، ليس فقط لأنَّ هذا الإيمان بالسعادة يساهم بشكل واسع بتحسين الصحة النفسيَّة والجسديَّة - لأنَّ فقدانها، يؤدي تقريبًا إلى الموت – بل لأنّه يُوَجِّه الإنسان نحوه.

إذا ما وجد شخص غير مؤمن السعادة في الحبّ، نرى أنّه يبدأ بفهم معنى هذه الكلمة التي من الجنّة، والتي كانت فيما مضى تجعله يبتسم. بالنسبة إليه، بعد الآن، ستكون الجنَّة، مكان السعادة، وربّما تختلف عن الأسطورة. إنَّ هذه الجنة الأولى التي يتحدَّث عنها المسيحيون وهذه الجنة النهائية التي يطمحون إليها، تصبح أقل استحالة في عينيه.

لكن بما أنّه من الضروري أن لا نقدِّم له الأخلاق المسيحيَّة تحت ملامح أخلاقيات الفرض أو الواجب الذي كان Kant من الروّاد فيها، وقد تبناها عدد لا يُستهان به من المسيحيين، الغير المُدركين تمامًا للحقيقة. لا يجب علينا أن ننسى أنّ الكرازة العظيمة للمسيح قد افتُتِحَت بهذه الكلمات : "طوبى ... طوبى... طوبى... للفقراء، للمساكين، لأنقياء القلوب !" أعرف جيدًا أنّه يمكننا أن نقرأ تعليقات علميَّة عن التطويبات، لا تغفل عن أيّ تفصيل في النص، أو أيّة فروقات، لكن كما لو كانت صدفة، يُهملون كلمة " طوبى ". ومع ذلك عندما يتحدّث الربّ عن الخلاص، فإنّه يستخدم دومًا صورًا سعيدة عن وليمة العيد، ووليمة العرس... حين توجَّه إلى خاصته بكلامه النهائيّ أثناء العشاء الأخير، بماذا كلّفهم، وبماذا أوصاهم، إن لم يكن بالفرح، بملء فرحه – الذي وبالتأكيد، يخاطرون بفقدانه، لكن لا أحد لديه السلطان لينتزعه منهم. [٥]

بكلمة موجزة، حياة الله هي سعادة، فالحياة الأبديّة التي يقترحها على الإنسان هي سعادة، وبالتالي الحياة المسيحيّة على الأرض هي بالفعل مقدِّمة لهذه السعادة. لكن كيف يلتزم بدين السعادة هذا، الشخص الذي لا يملك حسّ السعادة؟ هذا امتياز للحبّ الزوجيّ أن يُبرز هذا التوق - الذي لدى العديد من الأشخاص، قبل التعرّف على الحبّ لم يكن سوى جمرة تحت الرماد – وبهذا التوق، يُصوِّب المسار نحو فرح الله. لكن كم هو سريع العطب، اختبار السعادة هذا ! عابر بالنسبة لكثيرين. نادرون هم الأزواج الذين يستصوبون تعريف الزواج المُقترح من قِبَل المطران الأرثوذكسيّ Innocent Borissov :" ما تبقى من الجنة على الأرض" [٦] لكن هذا

---

[5] يوحنا ١٥, ١١: ١٦, ٢١-٢٢, ١٣,١٧

[6] Jacques Duquesnes, Demain une eglise sans pretres ? Grasset 1968

لا يمنع من أن تكون هذه التجربة جوهريّة، حتى ولو كانت قصيرة الأمد. السريع العطب والعابر ليسا مرادفين لكلمة خداع.

أسباب عديدة تفسِّر عدم ثباتها. لا يميّز البعض بين السعادة واللذة، وبالسعي وراء الثانية، يفقدون الأولى، التي قاموا باكتشافها ذات يوم. يسعى البعض إلى الإستيلاء على السعادة بنهمٍ وجشع، جاهلين أنّها محفوظة للذين تجد فيهم الإستعداد للإعجاب والتقدمة. يبحث فيها البعض الآخر عن المطلق : وهكذا يدمِّرون السعادة ذاتها وكذلك المحبوب، وذلك بمطالبته بما هم أنفسهم عاجزون عن تقديمه.

هذا الفشل خطير. خاصة بالنسبة للذين ينكرون اختبارهم الخاص للسعادة، ويسخرون في أنفسهم، أو بكلّ بساطة يتصوّرون أنفسهم ضحايا وَهْم. فقدان الإيمان على حساب السعادة، هو في أغلب الأحيان، تكريس الذات لعدم إيجاد، أو لعدم الحفاظ على الإيمان بالله.

لكن لحسن الحظ، هناك الذين بالنسبة إليهم، يبقى هذا الإختبار هو الإختبار الأعظم. دون شك، مع مرور السنين، تفقد بعضًا من حيويتها ومرحها الأوليين، لكن لصالح صحوة، عمق، ورسوخ، لم يعرفها الحبّ أبدًا حتى في ربيعه. هؤلاء الأشخاص يعرفون جيدًا، أنّهم لم يحصلوا على مطلق السعادة بالتقاسم، لكنّهم تعلّموا في السعادة النابعة من حبّهم، رؤية وعد سعادة أخرى، يطاردونها سوية ويعرفون الشعور المُسبق بها.

نظرة الحب

ينبثق من اختبار السعادة، الذي تأمَّلنا فيه لتوّنا، تعليم ذو أهميَّة جوهريَّة : من الحبّ تنبثق السعادة. السعادة والحب مُرتبطان. إذا ما اكتشف الإنسان أنّه خُلِق من أجل السعادة، من هذا المنطلق، يتعلَّم أنَّه خُلِق من أجل الحبّ، وأنَّه لا يمكنه أن يجد تمام كماله خارج الحبّ، خارج متطلَّبات وغنى الحبّ.

اختبار الحبّ، أمر مُعقَّد. إنَّ لغة النظرات تلعب دورًا أساسيًا. الذين يتخلون عن هذا الحوارمن أجل منافع ملموسة أكثر في عناق الأجساد، لا يعرفون ماذا يخسرون. أن نكتشف أنفسنا فجأة في نظرة شخص آخر كما في " مرآة حيث نرى أنفسنا مرئيين"، بحسب تعبير Lanza del Vasto، نكتشف أننا جديرين بأن نُحَب، فهذا ليس بالأمر البسيط. بالنهاية، نعرف علّة وجودنا، كنت سأقول "أننا موجودون". ما دام الشخص لم يقرأ في نظرة الآخر بأنَّه مُحِب، بالمعنى العميق للكلمة، وبأنَّه محبوب، يختبر شعور الأولاد غير المحبوبين، أو المحبوبين بشكل سيء، الذين وجدت تعبيرًا عنهم بشكل قويّ في أحدى شخصيات رواية : "كنت زيادة عدد. كنت أنام

في سرير كالقفص موضوعًا بطريقة عشوائيّة في غرفة، حيث يمكن ثنيُه في أيّ وقت. وحين أرحل لن أخلِّف ورائي مكانًا فارغًا".[٧] لكن حين يدخل الحبّ، يتغيَّر كلّ شيء. يكون لدينا قيمة، لدينا مكان في العالم، لأننا، بالنسبة لشخص ما، لا غِنى عنّا. " إنَّه بحاجة إليَّ ليكون سعيدًا"، نكرّر هذا لأنفسنا بحماس فَرِح. نشعر عندها أنَّنا مُبَرَّرين، بمعنى أنَّ المسعىَ مُبَرَّر. نكون معفيين من احتقار أنفسنا، ويمكننا أن نحبّ أنفسنا ونقدِّرها، لأن هناك من يحبنا ويقدِّرنا.

" هذا الإكتشاف الرائع الذي توصّلت إليه، وهو أنَّني أصبحتُ قادرًا على إثارة إهتمام، وإرضاء وتحريك أحد ما...إنعكست صورتي في كائن آخر، وبالتالي، لم تقدِّم صورتي المُنعكسة أيّ شيء مثير للإشمئزاز... أتذكّر خروج كياني كلّه عن تحفظّه تحت نظرتك، هذه المشاعر المتفجِّرة، هذه الينابيع االمتدفقة".[٨]

أخيرًا نجد أنفسنا متصالحين مع أنفسنا.

الحبّ يستدعي الحبّ. شعورنا بأننا محبوبون يُدرِّبنا على أن نحبّ. تنبثق دهشة، امتنان، وسخاء، كلّها مُتلهِّفة للتعبير عنها، والتي كنّا نجهل أن مصدرها في داخلنا. " ليس من المضحك، أنّه عند رؤية هذا الوجه الجميل، دون أن أعرف كيف، هناك شيء في داخلي بدأ يغني، شيء حزين جدًا، ساحر جدًا ومرير جدًا. جزء كامل من نفسي، كنت أعتقد أنّه غير موجود، لأنني كنت منشغلاً في مكان آخر ولم أفكّر في الأمر. يا إلهي، إنّه موجود، ويعيش بشكل فظيع". [٩]

وهكذا بواسطة الحبّ والعطاء، نصبح شبيهين بالذي اكتشفناه في المرآة حيث " نرى أنفسنا مرئيين"، الذي كان نحن وليس نحن تمامًا، لأنَّ هذه المرآة، التي هي نظرة حبّ، لديها القدرة على تقديم صورة لنا ليس فقط لما نحن عليه اليوم ولكن لما نحن قادرون عليه.

نظرة الله

هل تكون تجربة الحبّ هذه بلا أهميَّة روحيَّة؟ إذا ما عشناها بصدق، حتى بالنسبة للذي لا يؤمن أو لديه إيمان غير مُكتمل، تؤدي إلى الإعتقاد بأنّ الحبّ هو أكثر أبعد بكثير من الحبّ، وأنّ مصدر الحبّ، ربما يكون أعلى من قلب الإنسان. إذا كانت السعادة في الحبّ كالنور في اللهب، فإنَّ من اشتبه في وجود سعادة أخرى من خلال السعادة الإنسانيَّة، سوف ينقاد إلى

[7] Pierre GASCAR, La Graine, Ed. Rombaldi, 1979
[8] Francois MAURIAC, op.cit
[9] Paul CLAUDEL, Le Pere humilie en Theatre II, La Pleiade, Gallimard, 1965,p 529

الإعتقاد بأن هذه السعادة الأخرى تفترض أيضًا حبًا آخر، وأنّه خُلق من أجل هذا الحبّ الآخر كما خُلق من أجل هذه السعادة الأخرى.

إذا صادف على طريقه يدٌ العون لتقوده إلى المسيح، وشعر بأن المسيح يلقي نظره عليه، والتي غالبًا ما ذُكِرَت في الأناجيل :" نظر إليه وأحبّه"، ثم فجاة، سوف يكتشف أنَّ لديه سببًا للوجود لأنّه مهمّ بالنسبة لشخص ما.

المرآة حيث نرى أنفسنا مرئيين، هي نظرة الربّ بالذات. كيف يمكن أن يحتقر ذاته، ذاك الذي يكتشف أنّه ثمين في عينيّ الله؟ ثمين لدرجة أنَّ الله لم ينظر إلى الثمن : " لقد أرقتُ نقطة الدمّ هذه من أجلك". حين فَهِم باسكال هذا الأمر، اضطرب إلى عمق كيانه. قبله، كان القديس بولس قد قال :" لقد أحبّني وضحَّى بنفسه من أجلي". (غلا ٢، ٢٠)

أن يكتشف المرء أنَّه محبوب، أمر مُحَمِّس ومُرعِب في آن. إذا ما استسلمنا لنداء الحبّ ، لا نعد نملك أنفسنا... هذا هو الإيمان، هذه الـ "نعم" التي نقولها لله. ربما تأتي أيام، نلوم أنفسنا فيها على هذه الحركة المتهوّرة، لكن يكون الوقت قد تأخّر كثيرًا، من جهّة أخرى، نُهنيء أنفسنا لأنّ الوقت قد تأخّر. هذا ما عبّر عنه إرميا بتعابير لا تُنتسى (إر ٢٠، ٧- ٩)

إنّ علّة وجود الحبّ بين الرجل والمرأة، هي استدعاء حبّ آخر والتقدّم نحوه. إنّ ما ينطبق بالفعل على كلّ زواج، ينطبق بشكل أكبرعلى اتحاد المسيحيين المتزوجين، والذي تُعلّم الكنيسة انّه سرّ: واقع إنسانيّ لا يرمز إلى واقع إلهي فحسب بل يؤدي إليه.

هذا الحبّ الذي يقود الزوجين إلى حبّهما، ها هوذا يأتي بالمقابل بصدمة، ليُغيّر اتحادهما جذريًا. من الآن فصاعدًا سيحبان بعضهما حبًا يكون امتدادًا لمحبة الله.

ليفتحا رسالة يوحنا الأولى، سيفرحان إذا عرفا أنَّ حبّهما المتبادل ومحبة الله هما واحد : "نحن نعرف محبّة الله لنا ونؤمن بها. الله محبّة ... إذا أحبَّ بعضنا بعضًا، ثَبُتَ الله فينا، وكَملت محبته فينا". (١ يو ٤، ١٦- ١٧)

خلاصة

يقودنا الحبّ الحقيقيّ إلى نوع من حالة النعمة، يمكننا تجسيدها بخمسة عناصر أساسيَّة. سنتطرَّق في هذا الفصل إلى أول عنصرين.

١- **السعادة :** نشعر أنَّنا تحرَّرنا من الحزن، أنقذنا شريكنا بطريقة تعطي معنىً وفرحًا لحياتنا. هذا ما يريده الله لنا، أن نكون سعداء، لأن السعادة تقرّبنا منه.

٢- **نظرة الحبّ :** أن نكتشف أنّه يُنظّر إلينا بحبّ، هو من أجمل الإختبارات في الحياة. إنَّ إدراكنا أننا محبوبون في عيون الآخر، دون الحاجة إلى التعبير عن هذا الحبّ بأيّة طريقة أخرى، يجعلنا نشعر أننا ذات قيمة، لا غنى عنّا، ونحن مُنتظَرين... هذه النظرة تعطي معنىً لحياتنا. هذه التجربة بالشعور أننا محبوبون تدفعنا لنحبّ وللتعبير عن أفضل ما في داخلنا بطرق لم نتخيّلها أبدًا. وفي نظرة الحبّ هذه، يمكننا أن نعرف نظرة الله : يتوصَّل المتحابون إلى التوقّع بأنَّ الحبّ، نبع السعادة الرائع هذا، لا بدَّ وأن يكون له بعدًا روحيًا يتخطّى قلب الكائن البشريّ. يدفعنا الشعور بأنه يُنظر إلينا بحبّ، من قِبَل الله، الساكن في كلّ واحد منّا، إلى المطالبة بهذا الحبّ الكامل والرغبة في بلوغه.

" نحن نعرف محبَّة الله لنا ونؤمن بها. الله محبَّة، من ثبت في المحبّة، ثبت في الله وثبت الله فيه. إذا أحبَّ بعضنا بعضًا، ثبتَ الله فينا وكَملت محبته فينا. (١ يو٤، ١٢- ١٦).

هنا، نحن المسيحيون المتزوجون، المتَّحدون بسرّ الزواج، نجد ما تعلنه الكنيسة كسرّ : واقع إنسانيّ يرمز إلى واقع إلهي ويقودنا إليه.

واجب المجالسة

دروب لواجب المجالسة

إذا عُدنا بالفكر إلى بدايات الحبّ، نتذكَّر الآخر كما لو كان مُغلَّفًا بهالة من نور، لأنَّه في البدايات، يكون هناك دائمًا إفتتان. يحصل شيء فريد وعجيب بيننا حين نتبادل الكلمات، الحركات والنظرات. كلّ ما يمكن للعبة العلاقة بين الإثنين أن تعطي من ذاتها، كان حاضرًا بالفعل، في الدقّة المطلقة لما هو أوّليّ. يمتلىء العالم بالإشارات، الحياة المُشرذمة تجد وحدتها. الوحدة، عدم الأمان، الشك في المستقبل، كلّها اختفت، لأنَّ أحدهم قد اختارنا، أحبَّنا، وأعاد إلينا هذا القوام الهش الضروريّ لمواجهة الحياة، لنشفى من جراحات الماضي. دفعنا هذا إلى أكتشاف أنفسنا بالعمق، بحثًا عن كلّ ما كنّا عليه في السابق، مع الرغبة بتقديم كلّ مصداقيتنا للآخر. وهو من جهته، يعطينا من وقته وأفكاره، وهذه الصدفة في الحبّ تظهر لنا وكأنّها عطيّة لا نستحقها.

لذلك سيكون الأمر مجرَّد حدس، لأنّه لا يوجد شيء محسوب، فالإنجذاب المتبادل لا يمكن تفسيره، لأنّ العلاقة برمّتها بين الإثنين ما زالت برعمًا في طور النموّ. لكن هذا الحدس الجميل والمؤثر، يجب أن نصفه بالذكيّ. على الرغم من صغر سننا وضعف خبرتنا، يجب علينا أيضًا أن نتصرَّف بطريقة معيّنة لتقدير شخص الآخر بوضوح، ونكتشف بفرح القيم المشتركة بيننا،

والنقاط المُظلمة التي يمكنها أن تكون مصدر ألم. إذا كنا نحرص على التعرَّف على الآخر بشكل أوسع، في مختلف ظروف الحياة، والقيام بتواصل حقيقيّ وعميق معه، يمكننا التوصّل إلى اكتشاف ما إذا كان ممكنًا أن نخلق نحن الإثنين مشروع حياة موحَّد. عندها ننطلق من " نعم" عفويَّة ومُتعقلة في آن.

اقتراحات أسئلة لواجب المجالسة

حوِّلوا أنظاراكم إلى بدايات حبّكم...

١- لنتحدَّث معًا عن ظهور السعادة هذا، جديد، نافذ، مُلِح ... ومجهول حتى الآن. من هنا نكتشف، أنتَ، أنا ونحن، أنَّنا خُلقنا للسعادة وخُلقنا للحبّ. لنحاول أن نتذكَّر ما الذي أدهشنا في الآخر، ما الذي كنتُ أُعجَب به لديها أو لديه. لنتعمَّق بلحظة اكتشاف أحدنا الآخر، بأوقات الخروج معًا، بالمناقشات، بالرسائل...

٢- تنبثق السعادة من الحبّ : لنتحدَّث عن تجاربنا المُعاشة في حياتنا الزوجيَّة، والعائليَّة والتي تؤكِّد هذا الأمر.

٣- نظراتنا الواحد باتجاه الآخر، والواحد للآخر :

- لنتذكَّر النظرات الأولى بيننا، النظرة الأولى التي جعلتني أشعر أنّك تحبّني : ما الذي غيّرته فيَّ، وفيك؟

- واليوم : ماذا تقول نظراتنا؟

٤- لنعود إلى اللحظة التي أدركنا فيها، وشعرنا بأن هذا الإيمان بالسعادة كان يوجِّهنا نحو الله، نحو فرح الله، نحو الحياة الأبديَّة والفرح الأبديّ.

٥- لنتذكَّر هذه اللحظة والظروف التي جعلتنا نشعر بنظر الله عليَّ، على شريكي وعلينا معًا كزوجين. لنتحدَّث عن البحث عن حبّ الله، عن الفرح في الله، الذي تجاوز حبّنا الزوجيّ.

نختم واجب المجالسة، بتكريس بعض اللحظات لينظر كلّ واحد منّا للآخر، كما في المرّة الأولى. والآن ليمسك كلٌّ منّا بيد الآخر وننظر إلى بعض كما لو أنَّها المرّة الأخيرة التي سنكون معًا.

اجتماع الفرقة

الإصغاء لكلمة الله، ١ يو ٤، ١٦ ١٩

نحن نعرف محبَّة الله لنا ونؤمن بها. الله محبّة : من ثبتَ في المحبّة ثبت في الله وثبت الله فيه. واكتمال المحبَّة فينا أن نكون واثقين يوم الحساب، فنحن في هذا العالم مثلما المسيح في العالم. لا خوف في المحبَّة، بل المحبَّة الكاملة تنفي كلّ خوف، لأنَّ الخوف هو من العقاب، ولا يخاف من كان كاملاً في المحبَّة. فعلينا أن نحبّ لأنَّ الله أحبَّنا أولاً.

لتحضير الإجتماع : اقتراحات أسئلة

١- يسمح لنا تذكّر مرحلة من تاريخنا أن نعيش من جديد وجزئيًا الأحاسيس ذاتها التي عشناها آنذاك.

قمنا في واجب المجالسة برحلة إلى اللحظات الأولى لحبّنا. يمكننا تبادل الحديث حول أحاسيسنا حين تذكّرنا لقاءنا واكتشاف أحدنا للآخر.

٢- يتحدَّث الأب هنري كافاريل عن الفراغ، الوحدة، فقدان المعنى، قبل لقاء الحبّ هذا. يريحني الآخرإذ يُشعرني بقيمتي، أخيرًا أنا موجود بالنسبة لأحد ما. ما هو اختبارنا عن هذا الموضوع؟

٣- كيف أدركنا أو شعرنا أن هذا الحبّ الإنسانيّ يُقرّبنا من الله، لا بل يتغذّى من حبّ الله؟ إنضمينا إلى فرق السيّدة : يمكننا أن نتبادل الحديث حول هذا القرار الذي اتخذناه معًا والمسيرة التي قمنا بها.

٤- الحبّ الزوجي هو فرصة ثانيّة "للشفاء" في حياتنا، شفاء من الجروحات الماضيَّة. بماذا يوحي لنا هذا التفكير؟

الفصل الثاني

التواصل

الحبّ بين الرجل والمرأة، هذا الحبّ الذي يتمّ التعبير عنه بالسعادة، هو مُتبادل، هو حوار، تبادل، وتواصل كامل. هذا أمر جديد بالنسبة إلى الذين يعيشون حبًا يافعًا. يظهر لهم هذا الأمر بالأحرى مُدهشًا ومُبهِجًا، لدرجة أنّهم منذ سنوات، يشعرون بإحساس مؤلم لا يفارقهم. أحيانًا هادئ وأحيانًا عدائي، أغلب الأحيان يائس، كان هنا دائمًا كرفيق غريب لايعرف كيف يفسِّر حضوره. أحيانًا يثورون ضدّه، في أوقات أخرى يتصورون أنّهم تغلبوا عليه : " لا خيار لدينا : نحن وحيدين، كتب Rilke . مسموح لنا أن نعلِّل بالأوهام، لكنّي أفضّل مواجهة الأمر، مع أنّ هذا يصيب بالدوار". [١٠]

يظهر لهم الآن معنى هذا الشعور بالوحدة : كان يحضِّرهم للحبّ وللتواصل. في الواقع كيف لهم أن يرغبوا بالحب والتواصل ويستقبلوهما، لو لم يختبروا بشكل قويّ، أنّه لا يُحسن للإنسان أن يكون وحده ؟ (تك ٢، ١٨). كانت الوحدة تكلِّمهم بسلبيات الأمور التي يعلِّمهم إياها الحبّ اليوم بطريقة إيجابيَّة : بأنّ التواصل هو شريعة الإنسان العميقة، وبأن الكائن البشريّ "علائقيّ". لا يمكن للإنسان أن يكون موجودًا بشكل شخصيّ إلا في نطاق وجوده من أجل شخص آخر – بالمعنى العميق الذي يعطيه فلاسفة اليوم لهذا التعبير " الوجود من أجل"... من الآن فصاعدًا أصبحوا يعرفون هذا الأمر، كلّ واحد يقوله :" أنا الآن موجود لأني موجود من أجلك!".

التواصل، التواصل بالروح، من روح إلى روح، إنها تجربة استثنائيَّة. لكن الإنسان هو روح متجسِّد. يحصل هذا التواصل عن طريق الأجساد. نظرة، ابتسامة، شدّ على الأيدي، عطيَّة الأجساد، كلّ شيء يصبح وسيلة للتواصل. المواقف، الحركات، تمامًا كالكلمات تحمل معاني. لا يزال من الضروري للعقل أن يرغب في التواجد في كلّ هذه الأنشطة الجسديَّة، والتسرّب إليها لتحويلها، والتأكّد من أنّها لا تتحوّل إلى عادات، أو تصبح غير إراديَّة، أو ما أسوأ من ذلك، أن تصبح مجرَّد تعبير عن الغريزة الجسديَّة وحدها.

إنَّهم على حق، الخاطبون والمتزوجون حديثًا أن يفرحوا بالخلاص الرائع الذي يدينون به للحب. بفضله تمكَّن كلّ واحد منهم من الهروب من نفسه. إنّه خلاص رائع بالفعل، لكن عليهم أن يحذروا، فهو مُتطلّب لا يرحم. ليس فقط في الأوقات التي يكون فيها من المناسب واللطيف أن نتشارك بكلّ الأشياء التي نحتاج إلى التواصل بشأنها، بل طوال الحياة. إذا كان الأمر في البداية

[10] Anne LINDERBERCH en Solitude face a la mer, Amiot-Dumont, Paris, 1955, p.39

يبدو وكأنّه بغاية البساطة - كان أشبه بالإنفراج - لكن سرعان ما نُدرك أنّ التواصل الذي يتطلّبه الحبّ يذهب أبعد بكثير مما كنّا نعتقد. فالأمر يختلف كثيرًا عن تصريف فعل " أحبَّ"، عن تبادل الأحاسيس والمشاعر، والأفكار السهلة، المطلوب، تسليم كيان الإنسان الأعمق وذاته الحميمة، لهذا السبب، يجب علينا أن نكشفها كما هي، مع غناها وبؤسها. وليس فقط في الأوقات التي نجد فيها الأمر لذيذًا لنستقبل، بل في كلّ لحظة، يجب أن نكون مضيافين لاستقبال حضور الآخر، كلماته وعطائه.

أجل، يكون التواصل، حتى بين المتحابين، صعبًا وأحيانًا قاسيًا. لكن قساوته تشبه قساوة المُربّي الذي يُلزِم شخصًا ما ليتفوّق على نفسه، ليتخلَّص من كلّ أوهامه. الذي يقبل أن يتواصل يخرج إلى الوجود، ومن يرفض ذلك يحكم على نفسه بالإختناق. في الحقيقة، الحبّ وحده يحقق معجزة جعل هذه الجدران الحيّة، أي البشر، تتواصل، وذلك منذ الخطيئة التي عزل بها آدم نفسه عن الخليقة، بالإبتعاد عن الله.

أمر يستحق الملاحظة : إنَّ التواصل الحقيقي مع شخص، يُدخلنا بعلاقة مع العالم بأسره : "وجدت شيئًا عظيمًا جدًا، وهو الحبّ الذي يجب أن يمنحني مفاتيح العالم، لا أن يأخذها مني".[11] إنّ العديد من الكتَّاب الأخلاقيين يفشلون في فهم هذه "المعجزة" ولا يتوانون عن حث الأزواج والخاطبين باستمرار على عدم جعل الحبّ يأسرهم. بالتأكيد، يمكننا أن نسيء استخدام الحبّ، والحبّ الخطأ يُكبِّل الأشخاص، أمّا الحبّ الحقيقيّ يحرِّر قلب الإنسان.

بحوار مع الله

المربّي الأكبر، هو الروح القدس، الذي يقدّم له الحبّ، بشكل خاص، ساحة ملائمة للعمل، لينقل المتحابين من التواصل فيما بينهم إلى التواصل مع الله. إذا كان هذا التواصل مألوفًا لديهم، سوف يساعدهم الحبّ بشكل كبير، ليعيشوا التواصل على أكمل وجه. كلّ قواعد التواصل، التي يكتشفونها على مرّ الأيام في علاقاتهم المتبادلة، ستظهر لهم سريعًا كأسرارللتقدّم أكثر نحو حميميَّة إلههم.

إلى الذين لم يتعلّموا بعد كيف يعيشون مع الله، لكنّهم يتوقون إلى هذا الأمر، من المهمّ أن يفهموا أنَّ الديانة المسيحيَّة هي تواصل الإنسان مع الله، تواصل كلّ إنسان مع الله. تواصل في الحبّ. يجب أن نبيّن لهم أن تدبير الله هو كمؤسَّسة تديرها مشيئة الله، بالدخول بتواصل مع كلّ واحد من أبنائه، كنداء من الله إلى الإنسان - إلى كل البشر – ليقيموا معه علاقات شخصيَّة. إذًا على صعيد الإيمان، كما على صعيد الحبّ البشريّ، وأعمق بكثير بعد، إنَّ الإنسان من خلال

[11] Paul CLAUDEL, Le soulier de satin, en Theatre II, La Pleaide, Gallimard, 1965, p.772

استجابته لنداء حبّ الله، يكتسب شعورًا بالظهور إلى الوجود، وباكتشاف الحياة الحقيقيَّة. حتى ذلك الحين، كان يتساءل أحيانًا إذا ما كان وجوده حقيقيًا وليس مجرَّد حلم. الآن أصبح يعلم، أنّه موجود، وأنّه يعيش. هو موجود الآن، لأنَّه موجود من أجل الله، ولأنّه موجود من أجل الله.

رفض التواصل على الصعيد الإنساني، يعني تدمير الذات، وعلى الصعيد الديني، نقول أنَّه الموت بالمعنى العميق للكلمة. نبتعد عن الله – لهذا يتحدَّث علماء الأخلاق عن الخطيئة المميتة.

كما أنَّ الحبّ الإنساني هو أبعد من أن يعزل أحدًا، يعطي مفاتيح العالم، كذلك فالتواصل مع الله يحقق هذه المفارقة المتمثلة في فصل الإنسان عن كلّ الخليقة وإدخاله في تواصل مع كلّ الكائنات، ولكن في الله. إصغوا إلى Francis Jammes: " يبدو أنّ عالمًا جديدًا فُتِحَ أمام عينيه. العصفور، الشجرة، الحجر، كلّها كان لديها ضياءً لا يعرفه، والبلاط الذي ضربته الشمس الساقطة كان عميقاً ونظيفًا. لم يعد الأمر عبارة عن كابوس مجنون وغريب حيث تبدو الأشياء موجودة بشكل مفاجىء، الآن أصبح كلّ شيء كما هو..." حين نقرأ هذه السطور، نتخيَّل أن المؤلِّف كتبها في فترة خطوبته، في الواقع، كتبها في اليوم التالي لإهتدائه. ممكن أن يلتبس علينا الأمر، هذا لأنّ كلّ حبّ حقيقي وصادق، حتى أكثر من الحبّ الزوجي، حبّ الله، يجعل قلبنا أخويًا تجاه جميع الكائنات في الكون.

هكذا يعلِّمنا روح الله التواصل مع الله، إنطلاقًا من اختبارالتواصل في الحبّ البشريّ. لديه مصدر آخر، حتى أقوى. يعيد الشعور بالوحدة إلى قلب الحبّ. فيصاب الخاطبون والأزواج بالذعر، فهل كانوا مخطئين في الإعتقاد بأنّ الحبّ والوحدة غير متوافقين ومتناقضين، وأنّ الحبّ قد قضى نهائيًا على الشعور بالوحدة؟ هل كان بول فاليري على حق حين قال : "خلق الله الإنسان، ولم يجده وحيدًا كفاية، فأعطاه المرأة ليشعره بشكل أفضل بوحدته" ؟

عليهم بالأحرى أن يتساءلوا حول تجربتهم في الوحدة. ستذكّرهم بأنّ هذا الشعور الذي أحرقهم في مراهقتهم كان له معنىً : لقد حذّرهم حينها من أنّ الإنسان لم يخلق ليقف وجهًا لوجه مع نفسه، بل للتواصل في الحبّ المتبادل. وحدتهم اليوم، وبالتحديد في قلب الحبّ، هي من نوع مختلف تمامًا. إنذار أيضًا لكن، في حين كانت الدعوة للمراهق للحوار مع امرأة، اليوم أصبحت الدعوة للحوار والتواصل مع الله. كان يمكن أن يعتقدوا بأنَّ حبّهم البشريّ يكفي ليملأ قلبهم ... لكن لا يمكن لله أن يدعهم وقتًا أطول في الضلال. خُلقوا من أجل حبّ آخر، لا يجب عليهم أن يتأخروا في الإستجابة.

هل سيكون المسيحيون مُصانون من هذا التدخّل الجديد لشعور الوحدة؟ دون شك، إذا كان اتحادهم بالله عميقاً كفاية، وإذا كان حبّهم البشريّ مجرّدًا من كلّ وهم، فلن يعرفوا هذا الهجوم.

في الواقع، غالبًا ما يظهر هذا الشعور لديهم أيضًا. كتب أحدهم :" ليست الحياة سوى تعلّم عيش الوحدة، والزواج هو الوسيلة الناجعة للوصول إليها؟ " لا، ليس الوسيلة الناجعة للسير نحو الوحدة، بل للسير نحو الحياة، مع **" آخر"** يضع حدًا لكلّ شعور بالوحدة.

وفي الأسرة المسيحيَّة، هذا **" الآخر"** ليس ببعيد. في قلب الحوار الزوجيّ بالتحديد، يمكن أن نلتقيه. ألم يقل :" كلّما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، كنت هناك بينهم." (متى ١٨،١٩)؟ لكن الأزواج يقلقون : ألا يجب أن نخاف من نداء الحبّ الآخر هذا؟ ألن يستاء الحبّ الزوجي من هذا الأمر؟ أعطاني الجواب ذات يوم، صديق كان يخبرني عن زوجته المؤمنة بشكل عميق :"حين صَلَّت، شعرتُ وكأنَّ حنانها نحوي قد تجدَّد".

خلاصة

يُعَرِّف الأب هنري كافاريل التواصل ، كعنصر أساسيّ لحالة النعمة التي تنبثق عن الحبّ. يشير إلى أنَّ هذا التواصل، لا يدعم العلاقة الزوجيّة وحسب، بل يؤثر أيضًا على علاقاتنا بالآخرين.

تبدأ المسيرة نحو تواصل حقيقيّ باختبار الوحدة، شعور، يمكن أن يكون مُقلقًا، لكنّه يكشف عن حقيقة جوهريَّة : الكائن البشريّ موجود ليدخل بعلاقة، ليقول " أنا موجود لأني موجود من أجلك ". هذا الإكتشاف يدفع نحو الحبّ، ونحو تواصل مستمر، سواء لفظيّ، أو حركيّ أو حتى روحيّ، يقودنا إلى بُعد أرقى من السعادة، ودائمًا برفقة الروح القدس.

يريد الربّ سعادتنا ويفرح بها. مع هذا، يجب ان يُدرك الأزواج أنَّ التواصل لا ينحصر فقط في الأوقات المؤاتية، بل يجب أن يُعاش في الأوقات الصعبة. يمكن أن نشعر أحيانًا، أننا فقدنا شيئًا مما كان يجذبنا إلى الآخر. في هذه الأوقات بالتحديد، يصبح التواصل دعوة للمشاركة بأعمق ما لدينا والأكثر حميميّة، وللإنفتاح على الإصغاء المتبادل. هذا المجهود المبذول للمحافظة على تواصل حقيقيّ صادق، يرفع الحبّ إلى مستوى أعمق، أقربّ إلى المستوى الروحيّ.

بالإضافة إلى أنَّ حبّنا الزوجيّ، يعكس علاقتنا مع الله. في المسيحيّة، تُفهَم الديانة، كونها تواصل حبّ بين الله وكلِّ إنسان. حين نكتشف هدفنا الإلهيّ، يمكننا أن نقول :"أنا موجود لأني موجود من أجل الله." تصبح هذه الصلة معه (الله) المثال الأعلى لعلاقاتنا الإنسانيّة، حيث نشعر أننا مدعوون لنحبّ، لنتشارك ولندخل في علاقة.

مع أنّه يمكن للشعور بالوحدة أن يظهر فجأة في قلب حبّنا، لكن لا يجب أن نهلع. هذه دعوة لنتذكَّر أننا لم نُخلق لنعيش الوحدة، وأنّ الله سيكون دائمًا إلى جانبنا، ليعضدنا لنجد الراحة والكمال، في علاقاتنا البشريّة، كما في علاقتنا معه.

واجب المجالسة

دروب لواجب المجالسة

تُعاش العلاقة بين الزوجين في حياة مُتعدّدة ومُعقَّدة تشمل كلّ دوافع الواقع، ولا تسير الأمور دائمًا بحميميَّة تامّة وسعيدة، أو في أوقات مؤاتيّة ورائعة. على مدى الحياة المشتركة بينهما، يتوصّل الزوجان إلى أن يتعرّف أحدهما على الآخر، فكلّ ضعف وكلّ العادات المُستهجنة، "الظلال" التي تسلَّلت في زمن التعارف الأول والتي حاول كلّ واحد أن يموِّهها في البداية، تصبح كلّها جليَّة بشكل ملحوظ. كلّ يوم ، وعلى قدر ما تتكرَّر هذه العيوب، تصبح حاضرة لدرجة، إنّها لمرّات عديدة تغطي كلّ ما تبقى. فالتفاصيل الإستثنائيّة تتحوّل إلى فتات أمام العقبات اليوميّة. هذا الشخص الجذّاب الذي اكتشفناه بشغف في البداية، هو أخيرًا قريبًا جدًا، قريب لدرجة أنّه لم يعد يوقظ فينا عامل الإندهاش.

الرأي السائد هو أنّ نصدِّق أنّه حين نقع في الحبّ، يثير فينا هذا رؤية مثاليّة للشخص المحبوب، وحين تتلاشى هذه المرحلة، نلتقي في مواجهة الحقيقة.

لكن الأمر مختلف في الواقع. ما تجعلنا بداية الحبّ نكتشف عن الآخر، لا تمتّ بالأوهام بصلة. على العكس تمامًا، إنّه الباب الذي يفتح ويسمح لنا أن نرى ما الأكثر حقيقي وما الأفضل في الآخر، شرط أن يبقى التمرين من أجل الشراكة الذي هو وليدة الحبّ في البدايات، دائمًا فعَّالاً بين الإثنين. إنَّه تمرين إذًا، يجب مباشرة العمل، وهو مشاركة، إذًا الأمر يعني الإثنين. إذا التزم واحد فقط، يصبح التمرين تقريبًا مستحيل.

إذا ما استخدمنا فطنة القلب، هذه القدرة على الفهم واستيعاب الحياة، نستطيع أن نميّز، أنّه بالرغم من النقاط المظلمة والمتناقضة التي كشفنا عنها فيه أو فيها، فالنقاط الإيجابيّة تُعوِّض عن هذا الجانب السلبيّ، الذي نعرف أنّه مصدر ألم. وخاصة، خاصة، نمّوا في داخلكم قلب مليء بالرحمة، يفهم ويقبل، صبور ويعرف كيف يعتذر، يلقي نظرة ملىء بالحبّ على شخص الآخر، يتوقف عن الإنتقاد ويتعلَّم كيف يعبّر عن المديح، يعترف بحاجته للآخر ويُعبِّر عنها له. من السهل أن نشعر أننا منجذبون إلى ما يمكن أن نحصل عليه، من الصعب أكثر أن نتساءل عن حاجة الآخر.

اقتراحات أسئلة لواجب المجالسة

١- في بداية واجب المجالسة هذا، بعد أن وضعنا أنفسنا تحت نظر الربّ، ليأخذ كلّ واحد منّا، وقت تفكير فرديّ، وأمامنا ورقة وقلم، ولنحاول القيام بجهد التذكّر وبعد النظر، لنجيب على هذين السؤالين :

- ما الذي أعجبني بالآخر في بدايات لقائنا؟

- هل يمكنني أن أسمّي كلّ الميزات والروائع التي ما زلت أكتشفها اليوم لدى شريكي؟

بعد مضي وقت كافٍ للقيام بهذا، لنتبادل الحديث حول ما كتبنا ولنتحاور.

٢- الوحدة : حين كنت مراهقًا، أو شابًا فتيًا، هل سكنني هذا الشعور قبل أن أتعرّف على شريكي المستقبليّ؟ لنتحاور حول حالة الوحدة هذه، تطورها في بداية علاقتنا، ثم بعد عدّة سنوات من الزواج.

٣- ما العلاقة التي نجدها بين الوحدة وقربنا من الله؟ هل نوع من الوحدة قرّبنا من الله؟ بأيّة طريقة؟

٤- ما هي طرق التواصل التي نفضّلها؟ هل تغيّرت على مرّ السنين؟ كيف نأخذ بعين الإعتبار لغة الجسد الخاصة بنا، ولغة جسد شريكنا؟ لنتحاور حول مكانة الحنان في علاقتنا الزوجيّة؟

٥- أن نحبّ يعني أن نتعلّم التعرّف على الآخر كلّ يوم أكثر. وعلينا أن نكتشفه دائمًا بالإصغاء والمشاركة. هل يمكننا تمييز ما يعيق هذا التواصل مع شريكنا؟ هل يمكننا تحديد كلّ عقبة أمام عملية التواصل، والبحث معًا عن طرق لجعلها غير فعّالة؟

قراءة كلمة الله

قراءة الرسالة إلى أهل أفسس ٤، ٢٩-٣٢

لا تخرج كلمة شرّ من أفواهكم، بل كلّ كلمة صالحة للبنيان عند الحاجة وتفيد السامعين، لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء. تخلَّصوا من كلّ حقد ونقمة وغضب وصياح وشتيمة وما إلى ذلك من الشرور، وليكن بعضكم لبعض ملاطفًا رحيمًا غافرًا كما غفر الله لكم في المسيح.

لتحضير الإجتماع : اقتراحات أسئلة

١- الديانة المسيحيّة هي تواصل الإنسان مع الله. يقضي تدبير الله بإقامة علاقات شخصيّة مع مخلوقاته. كيف نعيش هذين الحبّين – حبّ الله وحبّ الشريك؟ كيف نتعاون معًا بطريقة واقعيّة لنبني هذه العلاقة مع الله؟

٢- أعطانا الله شريكنا لنحبّه. كتب الأب هنري كافاريل، أنّه في الحوار الزوجي، يُعلِّمنا الروح القدس التواصل مع الله. كيف ننظّم واجب المجالسة؟ كيف نحضِّره؟ ما الأمور التي علينا إعادتها إلى نصابها حتى تصبح قلوبنا قادرة على استقبال وقت تسوية الأمور هذا، لنحبّ بعضنا بشكل أفضل ونختبر في حبّنا، حبّ إلهنا؟

٣- لنتحاور معًا حول الطريقة التي بها التواصل الزوجي، بالحبّ والحقيقة يجعلنا:

- ندخل في تواصل مع الله بذاته،

- ندرك أننا موجودون، ليس فقط من أجل شريكنا، بل أيضًا من أجل الله،

- ننفتح على الغيريَّة، غيريّة الله ولكن أيضًا غيريّة كل الناس.

الفصل الثالث

الشعور بالنقص والمجانيَّة

الشعور بالنقص

من خلال الإختبارات المتنوِّعة التي يحتفظ بها حبّ ناشىء، يفرض نفسه، شيئًا فشيئًا على كلّ واحد من الشريكين : قبل لقاء - ذاك الذي أو التي – يحبّ، وعيٌ بأنّه كائن غير كامل، لكنه لم يكن يعاني من هذا الأمر على الإطلاق. كان يعيش كما لو أنّه مكتفيًا بنفسه. مع ذلك يشعر بأنّه بحاجة لتنمية ما لديه ليكتمل، ويحقق أهدافه. في الواقع، كان ينقصه كائن مُكَمِّل. ليس شخصًا يساعده على تغطية نواقصه أو يؤمِّن له بعض الإضافات لشخصه وممتلكاته، بل شخص يقدَّم له ما لن يتمكَّن أبدًا من الحصول عليه بذاته : النصف الثاني من العالم.

هذا النصف الثاني من العالم - مُذكَّر أو مؤنَّث – لا نحصل عليه كشيء نمتلكه إلى الأبد. الشيء نحصل عليه، لكن الشخص نستقبله، في نطاق العطيّة التي نقدّمها له من ذاتنا، وحين نطبق ذراعينا عليه لنمتلكه، يهرب منّا ولا يدعنا نحتضن إلاّ شيئًا واحدًا، الشيء الذي أصبح عليه من خلال التخلي عن حريته.

إنَّه لحدث روحيّ مهمّ، اكتشاف نقصنا بالنسبة إلى الجنس الآخر، لأنّه وعيٌ لفقر جذريّ، لا جدل فيه. صحيح أنّ أغلب الناس يكتشفون هذا الأمر في الحبّ: يعرفون فقرهم عندما يتمّ إنقاذهم منه. أُنقِذوا، أجل، لكن بشرط أن يبقى الشريك حاضرًا، ويعطي ذاته.

لا أحد مُعفى من التفاعل مع اكتشاف الشعور بالنقص هذا. قبول أو تّمرّد : لا خيار آخر. كم من تصرّفات، لاسيّما على الصعيد الجنسيّ، لكن أيضًا على الصعيد الإجتماعيّ، لا تفسير لها إلاّ رفض هذا الفقر. أشار علماء النفس إلى أهميَّة قبول الإنسان لجنسه، لكن هل عملوا بشكل كافٍ ليجعلوا الناس يلاحظون، بأنّه لا يقل أهميّة عن هذا الأمر أن يكون جنس الشخص واحد من الإثنين، إذًا أن يقبلوا الشعور بالنقص والفقر اللذان ينتجان عن هذا الأمر؟

وكذلك بالنسبة للتبعيّة، لأنَّ الفقير هو بالضرورة تابع. رفض هذه التبعيَّة، هو ردَّة فعل مراهق مُرتاب ومُتمرِّد. عند المراهق يسهل تفسير الأمر : يرفض التخلّي عن استقلاليته، وهو على حق من وجهة نظر معيّنة. فيما بعد، لكن فقط فيما بعد، سيكتشف أنّه في الحبّ، يمكن للكائن البشريّ أن يجعل من نفسه تابعًا دون أن يكون هذا "عبوديّة " أو تنازلاً عن كرامته الإنسانيّة. في حين أنَّ الشخص الراشد، يجد في هذه التبعيَّة التي رضيَ بها، نضوج شخصيته، واندفاع حريَّته.

فقر أكثر جذريّة

دون شك، باتباعكم لأفكاري، لا بدّ أنَّكم لاحظتم كيف يعمل الله ليجعل، وعيّ الرجل والمرأة لنقصهما الواحد تجاه الآخر، يخدم أهدافه. يريد أن يقودهما ليكتشفا نقصًا أعمق، وأن يرضيا به. "في الواقع، إنَّ محبّة الله توقظ فينا نفس القدرة التي توقظها في المخلوقات، لهذا الشعور بأننا لسنا كاملين بمفردنا وأنّ الخير الأعظم الذي سوف نحقق ذواتنا فيه هو، خارجنا، شخص ما". [١٢] إنَّ الإنسان مثير للضحك، ذاك الذي يدَّعي الإكتفاء بذاته ويتجاهل النصف الآخر من العالم، لكن المُضحك والأكثر غرابة ومأساوية، الإدّعاء بالإستغناء عن الله. في الحقيقة، إنّها الخطيئة الأصليَّة :" تكونان كآلهة"، همس الشيطان في أذن حواء، مستقلان، مُتحرِّران، في منتهى الحريَّة !

بالنسبة لله، إنَّ فِقر الإنسان مُطلق : هذه هي القاعدة الأساسيّة التي يجب أن يقرّ بها الموعوظون. بدون الله، لابداية ولا نهاية للإنسان، إذا أمكنني القول. في الواقع، لاوجود لتدخّل من قِبَل الله. لأنَّ هذا الـ "أنا"، سيّد نفسه، يؤكِّد : أنا موجود، أنا أريد، أنا أعمل، بكلّ هذا لم يمنح ذاته الوجود : إنّه من الله، وأُعطِيّ لذاته بواسطة الله. لكن هناك المزيد بعد : يستمدّ الإنسان ذاته، في كلّ لحظة، من الله. كما أنَّ بقعة النور على جدار غرفتي تستمد واقعيتها من شعاع الشمس الذي يتسلَّل عبر مصاريع الشباك، فكذلك وجودي لايتَّسم بالثبات و الإستمرار إلاّ من خلال الكلمة الخالقة التي جعلتني أظهر إلى الوجود وحافظت عليَّ.

لكن هناك فقر أكثر مأسويَّة، يقتضي بأن نوجّد ولا نستطيع بلوغ ومعانقة ما خُلقنا من أجله، والذي نجد فيه كمال وجودنا والسعادة. هكذا هو الحال مع الإنسان في علاقته بالله. إذا ما حُرِمَ من صداقة الله، يكون حيّ ميّت، لأنّه خُلِقَ من أجل الله، ليتعرّف عليه، ليحبّه، ليمتلكه، كما العين جُعِلَت لنرى، الذكاء لنفهم، والقلب لنحبّ، والرجل من أجل المرأة والمرأة من أجل الرجل.

إذا كان يمكن لتجربة الحبّ البشريّ أن تقود إلى فهم وتقبّل هذا الفقر الجوهريّ حيال الله، عليها أن تُطمئن الإنسان الذي، بلغ عتبة الإيمان، وقد أصيب بالذعر لمجرّد التفكير بالإذعان لله، وإلقاء نفسه في هاوية الإعتماد الكامل عليه. يخشى أن يُضحّي بعظمته كإنسان. إنّه شعور محترم إلى حدّ ما : فكرة عادلة عن نبله، لكن من أين له هذا النبل إن لم يكن من الله؟ ولذلك فأنَّ الله يغار منه أكثر من نفسه، لا يستطيع أن يطلب من الإنسان أن ينكره. إنّ تجربة الحبّ مفيدة جدًا : إعطاء الذات، جعل أنفسنا تابعين من منطلق الحبّ، لا يجعلنا نقع في فخ امتلاك الآخر،

[12] Paul CLAUDEL, Positions et Propositions, T I, 1934, p,431

كالعبد، كشيء بين يديّ السيّد، بل على العكس تمامًا، يجعل هذا الأمر شخصيتنا تنطلق بكلّ بهائها. يصعب فهم الأمر يالعقل والمنطق، إنّها حقيقة واضحة للذي يحبّ.

لكن يجب أن نقول : كما أنّ اتحاد كائنين يتطلَّب أن يظل الحب بينهما حيًا، وإلاّ سوف يشبه تقييد اثنين من المحكومين، كذلك فإنَّ الإيمان بالله يتطلَّب بالضرورة، لكي يُعاش بكلّ حقيقته، محبّة حيّة ومُتّقدة لله، أن يكون كلّ يوم جديد وكلّ يوم أكثر حقيقة. المتصوّفون، لأنَّهم يعيشون هذا الإختبار، يُنشدون بحماس فرحهم كونهم اكتشفوا الفقر الجذريّ والحريّة المطلقة حيال الله. إنّهم هم الكائنات الأحرار.

المجانيَّة

هذا الرجل، الذي فجأة وجد نفسه أمام امرأة، فَهِمَ إنّه كان ينتظرها طوال حياته، وأنَّه من دونها هو غير كامل ولن يجيد تكملة مهمّته. يتقدّم أولاً كغازٍ، لكن سرعان ما يُدرك خطأه.

حتى ذلك الحين كان لديه شعور بأنّه يستطيع الحصول على كلّ شيء بالمال أو بالإستيلاء عليه بالقوّة الفكريّة، الأخلاقيّة أو الجسديّة. إذا فشل، فإنّه يلوم نفسه أو افتقاره للمال، أو للقوّة. لكنّه يكتشف عالمًا آخرًا، حيث يتمّ استبعاد الثروة والقوّة: إنّه عالم الحبّ. سوف يسخر منه الناس، لو ادّعى إنّه يحصل على الحبّ مقابل المال ! ذُكر هذا الأمر في نشيد الأناشيد منذ حواليّ ٢٥ قرنًا :" لو أعطى الإنسان ثروة بيته ثمنًا للحبّ لناله الإحتقار". (٨- ٧) وإذا لجأ إلى القوّة، يُظهر نفسه كوحش.

في هذا العالم الآخر، عالم الحبّ، عالم الإنسان، عالم سرّ الإنسان، الذي ليس هو بشيء نستولي عليه بل هو حريّة تهبُ ذاتها. وعطيّة الحبّ هذه، هي نوع من المعجزة، لا يمكن التنبؤ بها وهي دائمًا مجّانيَّة. لكن كيف السبيل للحصول عليها؟ ليس هناك إلا طريقتين. إمّا الإغواء بالمعنى الأشمل للكلمة، أي أن نحبّ، أن نحبّ بمثل هذا الحبّ الذي يجعل الحبّ ينبعث من قلب الآخر، أو التحسّر. تبدو الكلمة سخيفة، ومع ذلك فهي تغطي واقع كبير: تواضع كائن يعترف بحبّه ويدرك في الوقت ذاته أنّه لا يستحق بأيّ حال من الأحوال، هذه الهديّة التي لا تُقدَّر بثمن، حبّ الشخص الذي يحبّه.

لذلك بعد أن يستجيب الحبيبان أحدهما للآخر، وبعد أن نادى كل منهما الآخر، يكون هذا موقف العرفان بالجميل المُدهش أن ينفتح الواحد على عطيَّة الآخر:

" اجثو على ركبتيك وأنا أجثو على ركبتيّ!

وانظر إلى روحي، وباندهاش، سأستقبل روحك بكلّ إجلال،

بين ذراعيّ، بما أني جثوت على ركبتيّ، لأنها خليقة الله،

ووديعته على قلبي وبين ذراعيّ". [١٣]

هؤلاء الذين حصلوا على هذه العطيّة التي لا تقدَّر بثمن، لا يعتقدوا أنّهم اكتسبوها نهائيًا. يجب أن ننتظر كلّ يوم، باحترام متواضع، عطيَّة المحبوب، ويجب استقباله كلّ يوم باندهاش ومجّانيَّة اليوم الأول، عطيّة تتجدَّد كلّ يوم. الويل لمن يستسلم لعقليَّة التملّك، فأنَّه سيستبعد نفسه من عالم الحبّ.

مملكة النعمة

إنّ اختبار المجانيّة هذا، يلقي ضوءًا مُدهشًا على العلاقة بين الإنسان وإلهه. من خلاله، يريد الربّ أن نبلغ إلى فهم عالم النعمة. نعمة، مجانيَّة، إنها الكلمة ذاتها.

الأمر الأكثر فظاعة من الطموح إلى شراء الحبّ البشريّ والذي وصمه نشيد الأناشيد، هو الإدّعاء بالحصول على عطايا الله مقابل المال. وقد أثارت هذه الإدعاءات غضبًا عنيفًا لدى الرسول بطرس :" فلمّا رأى سمعان أنَّ الله منحهم الروح القدس عندما وضع بطرس ويوحنا أيديهما عليهم، عرض عليهما بعض المال، وقال لهما :" أعطياني أنا أيضًا هذه السلطة لينال الروح القدس كلّ من أضع عليه يديّ !" فقال له بطرس :" إلى جهنَّم أنتَ ومالك، لأنَّك ظننت أنَّك بالمال تحصل على هبة الله. " (أعمال ٨، ١٨- ٢٠)

أقل فظاظة ولكن من نفس النوع، خطأ كلّ أؤلئك الذين يتوقعون الخلاص من التزامهم بشريعة، من براعتهم الأخلاقيّة، ومن استحقاقاتهم. هم أيضًا يجهلون مجانيَّة الخلاص المسيحي وسموّه. إذا كان هذا نوع من جنّة على الأرض، سوف يُعذَرون، لكنَّ الخلاص الذي يقدّمه لنا الله مختلف تمامًا: إنّه **هو**، **هو** المعروف، المحبوب، نمتلكه امتلاك الحبّ. وهذه عطيَّة الحبّ من كائن، كما رأينا، لا يمكن شراؤها أو استحقاقها. وخاصة عندما يتعلَّق الأمر بالله.

لذلك يجب أن يفهم الإنسان أمام الله، أنَّ عطيَّة الله، لا يمكن أن تكون إلاّ مبادرة إلهيّة صِرفة. إذا كان هناك موضوع في العقيدة ، تأمّل به علم اللاهوت لفترة طويلة ودافع عنه بشراسة، فهو بالتأكيد موضوع المجانيَّة المطلقة للنعمة. لا يعود للإنسان إلاَّ استقبالها، بالإضافة إلى أنَّ هذا الفعل الذي ينفتح بموجبه على عطيَّة الله هو بحدّ ذاته عطيّة كبرى من الله.

[13] Paul CLAUDEL, L Echange, en Theatre I, La pleade, Gallimard, 1964, p 691

يجب إذًا العدول عن غزو الله بالقتال. لكن كيف لنا أن نحصل على حبّه، الذي اكتشفنا أنّه أثمن من أيّ شيء آخر بالنسبة إلينا؟ كنت أتحدَّث عن إغواء بين الرجل والمرأة، هنا، هذا الأمر مُستبعد : نحبّ الله لدرجة نزع الحبّ من قلبه، لكن من يتجرّأ على ادّعاء هذا الأمر؟ لا يبقى إذَا إلاّ أن نجعل من أنفسنا "عُشّاق ولهين". هذا هو المعنى العميق للصلاة. لكن علينا أن ندرك أنَّ الصلاة ليست ضغطًا نمارسه على الله، بل هي انتظار، رجاء، ثغرة في كياننا، يجتاحنا الله من خلالها.

من جهّته، حين يريد الله أن يغزو الإنسان ويتّحد به بالحبّ، لا يمكنه إلاّ أن يحترم شريعة الحب العظيمة الذي أعلنها بنفسه، والتي حدّدتها سابقًا :" *الإنسان ليس شيئًا نستحوذ عليه، بل إنّه حريّة تُعطي ذاتها*" . يبقى أن يُغوي الإنسان. وعلى ضوء هذا بالتحديد، يجب فهم كل التاريخ المقدَّس. من خلال أعماله العظيمة، وتعبيره عن الحبّ، تعلّق الله في بادىء الأمر بشعب، من أفقر الشعوب وأكثرها اتّضاعًا، كما يغزو الرجل قلب امرأة. توجَّه إليه بكلام زوج مُغرم : "وكسرور العريس بالعروس، يفرح بك الربّ إلهك". (أشع ٦٢، ٥) وكامرأة زانيّة ، حين يخون إسرائيل ذاك الذي كان يُسمّى عريسه، كان هذا الأخير، في كلّ مرَّة يسعى إلى غزوه من جديد : " لذلك سأفتنها وأجيء بها إلى البريّة وأخاطب قلبها". (هو ٢، ١٦)

أخيرًا، دقَّت الساعة بالنسبة لله، ساعة مبادرة الإغواء الإلهيَّة، من أجل ربح، ليس قلب شعب من الشعوب وحسب، بل البشريَّة كلّها. وصار ابن الله بشرًا وسكن بيننا، وقدَّم للبشر أكثر برهان دامغ عن الحبّ : " ليس هناك من حبّ أكبر من أن يقدِّم الإنسان حياته من أجل أحبّائه ".

لكن جمهور البشر الكبير، لا يعرف الإصغاء إلى لغة الحبّ ! ومع ذلك، منذ حواليّ عشرين قرنًا، ملايين من البشر قد انجروا للإغراء، قُدّموا ذواتهم للمسيح، وانفتحوا على عطيَّة المسيح. ثبتوا فيه وهو ثبت فيهم.

خلاصة

الشعور بالنقص : تكشف علاقة الحبّ عن فقرنا الجذريّ، وذلك يجعلنا ندرك نقصنا. يدلّ هذا الإكتشاف الروحيّ على أنَّ التبعيَّة للآخر توصلنا إلى كمالنا، ويقودنا قبول هذا النقص إلى نضوج شخصيّ يجعلنا أحرارًا بشكل أكبر، في حين أنَّ نكراننا له، يؤدّي بنا إلى عدم الرضى والبؤس.

كما يفعل في سياق حديثه، يعكس الأب هنري كافاريل هذا الوعي لنقصنا في علاقة الحبّ، على علاقتنا مع الله. يعطينا الله الوجود والكمال، وإدراكنا لمدى تعلقنا به وتبعيتنا المطلقة له،

تفسح بالمجال لعلاقة أكثر صدقاً. يحتفل الصوفيون بهذا الفقر الجذريّ وذلك بالإعتراف بتبعيتهم الكاملة تجاه الله، والكمال الذي يقدّمه لهم.

مجانيَّة الحب : لا يمكن شراء الحبّ أو الحصول عليه باستحقاقات، كما يوضح " نشيد الأناشيد" : " لو أعطى الإنسان ثروة بيته ثمنًا للحبّ لناله الإحتقار" (نش ٨، ٧) فالفضائل التي ترافقه هي : التواضع، الإنتظار، العطاء وعطاء الذات المجانيّ. في العلاقة مع الله، هذا يعني أنَّ نعمته هي هبّة مجانيّة لانحصل عليها بإنجازات أو استحقاقات. هذا الحبّ الإلهيّ هو سخيّ ووافر، ومهمّتنا تقتضي بالإنفتاح عليه لاستقباله.

لا يمكننا إلاّ أن نصلي. أن نلتقيه ليعطينا فرصة استقبال نعمته المسكوبة بسخاء، والتي في أغلب الأحيان نمرّ أمامها دون أن نتوقّف. الصلاة هي لغة الحبّ مع الله، هي لقائنا به وقبولنا له، هو الذي ينتظرنا دومًا.

واجب المجالسة

للإستعداد لواجب المجالسة

يجب إيجاد توازن بين الأدوار المُسنَدة تقليديًا إلى المرأة، المرتكزة على الخاصيَّة " المقدَّسة" لطبيعتها، والقوّة الصلبة للإديولوجيَّة النسويَّة التي تقدّمها كونها مُنتَج خالص وبسيط لـ "ثقافة" ذكوريّة، لا علاقة لها ببيولوجيتها.

حين نرى كيف يعيش أزواج حديثي العهد، نعرف أنّهم ورثة هذا النضال النسويّ الذي لا عودة عنه. أخيرًا، تمَّ الإعتراف بالمرأة، على الأقل في قسم من العالم، كونها متساوية مع الرجل يالكرامة، بالذكاء، بالقدرة على التنظيم وتحمّل المسؤوليات، لكن لا يجب أن تُفقدها، كلّ هذه المُكتسبات الخارجيَّة، هويّتها العميقة. يمكن أن تقوم المرأة بكل الأعمال التي يقوم بها الرجل، لكنّها ستقوم بها بطريقة مختلفة.

في الأسرة، شكَّل التغيير الذي طرأ على دور المرأة غنىً عظيمًا، لكنّه كان أيضًا سببًا للخلافات. كيف السبيل إلى إدارة أمور المنزل؟ كم من الوقت يمكن أن يُخصص كلّ واحد من الزوجين للأولاد؟ هل يجب على الشخص ذاته أن يقوم دائمًا بتنازلات عن وظائف رفيعة الشأن؟

إذا كان يعيش الأزواج الحديثي العهد هذا الأمر كنضال دائم مُرتبط بمساواة مُطالَب بها بشراسة، يصبح من الصعب العيش في جوّ من التوازن والسلام. أولاً، يجب أن يحصل بين

الإثنين إتفاقاً لتقاسم عبء الحياة العائليّة والمهنيَّة، ثانيًا الإعتراف بهذه الإختلافات بين المقاربة الذكوريّة والأنثوية، التي تُظهر الفروقات في علاقاتهما. إذا كانوا لا يقبلون أن الإختلاف الجنسي بين الرجل والمرأة، لا ينحصر فقط في الأعضاء التناسليّة بل يطال كلّ حياتهم، في كلّ أبعادها، لا يمكنهم أن يعيشوا هذه الإختلافات كغنىً بل تصبح سببًا دائمًا للخلافات.

إذا كان التوازن الذي نبحث عنه مبنيًا فقط على العدالة، ولا يرتكز أبدًا على مجانيَّة الحب – المحبة، سيكون دائمًا في خطر. إنَّ هدف اتحاد الرجل والمرأة هو الدخول في ملء علاقة الرجل والمرأة ليصبحا خاصة زوجين شريكين.

اقتراحات أسئلة لواجب المجالسة

١- إنّ حبّ الشريك يجعل منّا امرأة بالملء ورجل بالملء. آدم هو أوّل من عاش الشعور بالنقص، شعور الحزن هذا في مواجهة واقع النقص، والغياب. [١٤]

هل يُدرك كلّ واحد منّا نقصه؟ في أي وقت من تاريخنا الشخصيّ ظهر هذا النقص لنا، وأدركنا وجوده؟ كيف نحدّده؟ ما هو بالنسبة إلينا، " هذا النصف الثاني من العالم" الذي يؤمّنه لنا شريكنا؟

٢- " الشيء نحصل عليه في حين أنّ الشخص نستقبله، في نطاق عطيّة ذاتنا التي نقدّمها..."

ماذا تُلهمنا هذه العبارة؟

نختبر جميعنا مجانيَّة حبّ الله، وعطيّته. كيف نستنير من هذا الأمر في طريقة عيشنا لحبّنا الزوجي؟ في يوميات حياتنا، كيف نعيش هذا العطاء المتبادل وهذه المجانيّة، من خلال المهمّات المختلفة في خدمة الجماعة الزوجيّة أو العائليّة؟

٣- إلى أيّ حدّ يجعلنا حبّنا الزوجيّ نُدرك فقرنا؟ نُدرك تبعيتنا في الحبّ؟ كيف نعيشها؟ ما رأيكم بفكرة الأب هنري كافاريل، بأن التبعيّة بالحبّ تحرّرنا؟ لنبحث معًا عن أمثلة واقعيّة.

٤- نقصنا بالنسبة لله. كيف ومتى اكتشفناه؟ إلى أيّ مدى سمح لنا نقصنا، بالمقارنة مع شريكنا، أن نكتشف نقصًا أساسيًا أكثر وأعمق، وجعلنا نقبل به؟ لنذكر هذه الإكتشافات.

---

14 التكوين ١، ٢٦-٢٧ : وقال الله :" لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، (...) فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلق البشر، ذكرًا وانثى خلقهم. "
تكوين ٢، ٢٠ :" فسمّى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية بأسماء، ولكنَّه لم يجد بينها مثيلاً له تعينه."
تكوين ٢، ٢٢-٢٣ :" وبنى الربّ الإله امرأة من الضلع التي أخذها من آدم، فجاء بها إلى آدم، فقال آدم :" هذه الان عظم من عظامي ولحم من لحمي!..."

٥- كيف يستنير فقرنا الزوجي وفقرنا المطلق حيال الله، أحدهما من الآخر؟ هل نحن مُقتنعون أننا خُلقنا من أجل الله، وأننا من غير صداقة الله نحن أحياء أموات؟ كيف نغزو ونصون، يومًا بعد يوم، الحبّ الزوجي وحبّ الله؟

إجتماع الفرقة

قراءة من سفر التكوين ٢، ١٨- ٢٣

وقال الربّ الإله :" لا يحسُنُ أن يكون آدم وحده، فأصنع له مثيلاً يعينه". فجبل الربّ الإله من الأرض جميع حيوانات البريَّة وجميع طير السماء، وجاء بها إلى آدم ليرى ماذا يسمّيها، فيحمل كلّ منها الإسم الذي يسمّيها به. فسمّى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البريّة بأسماء ولكنّه لم يجد بينها مثيلاً له يعينه. فأوقع الربّ الإله آدم في نوم عميق، وفيما هو نائم أخذ إحدى أضلاعه وسدّ مكانها بلحم، وبنى الربّ الإله امرأة من الضلع التي أخذها من آدم، فجاء بها إلى آدم. فقال آدم :" هذه الآن عظم من عظامي ولحمٌ من لحمي، هذه تسمّى امرأة، فهي من امرىء أُخِذَت".

لتحضير الإجتماع: اقتراحات أسئلة

١- ما هي الإكتشافات التي وجدناها، والتأكيدات التي تلقيناها بعد أن قرأنا هذه النصوص للأب هنري كافاريل؟ بالنسبة لحبّنا الزوجي كما بالنسبة لعلاقتنا الشخصية وعلاقتنا كزوجين مع الله.

٢- ما هي ثمار واجب المجالسة التي يمكننا المشاركة بها؟

٣- حب مجانيّ لشريكنا ولله، يُبنى يومًا بعد يوم. بماذا هو مصدر نِعَم؟ أوضحوا الأمر.

الفصل الرابع

دعوة الحبّ

إنَّ نبع الحبّ المسيحيّ ليس في قلب الإنسان، مصدره الله. على الأزواج الذين يريدون أن يحبّوا، أن يتعلَّموا أن يحبّوا أكثر فأكثر، ليس هناك إلاّ نصيحة واحدة مفيدة لهم : إبحثوا عن الله، أحبّوا الله، كونوا مُتّحدين بالله، إفسحوا له المكان كلّه.

كلَّما انفتحوا أكثر على إله الحبّ، كلّما كان تبادل الحبّ بينهم أغنى. تُفتَح أمامهم آفاقًا لامتناهيَّة : لن يتوقف حبّهم عن النموّ أكثر فأكثر، بما أنّه يمكنهم أن ينفتحوا دائمًا بشكل أكبر على عطيّة الله. إذا أرادوا أن يكون حبّهم شعلة حامية، دائمًا مُتأجِّجة، عليهم أن يحبّوا الله كلّ يوم أكثر.

يمكن تفسير زوال أو تدهور الحبّ، بسبب نسيان هذا المبدأ الأساسيّ والإبتعاد عن الله وارتكاب الخطيئة تجاهه، وهذا يعني ارتكاب الخطيئة تجاه الحبّ وذلك بالإنفصال عن منبع الحبّ. الإمتناع عن الله، يعني أن نمنع عن شريكنا خبزه اليوميّ : **الحبّ**. إنّه لكاذب ذاك الذي يدّعي تقدير الحبّ، في حين أنّه يزدري **بالحبّ**.

يأتي الحبّ من الله

ذاك الذي ينفصل عن الله، إذا لم يفقد القدرة على الحبّ، يتخلّى أقلّه عن أفضل ما في حبّه. بالمقابل، يكبر هذا الحبّ بمقدار ما يكبر حبّه لله. يساوي الإتّحاد الزوجيّ، بصفته البشريَّة وبصفته الأزليّة، ما يساويه اتّحاد الزوجين مع الله. كلّما انفتحا أكثر على إله الحبّ، كلّما أصبح تبادل الحبّ بينهما أغنى. تُفتَح أمامهما آفاقًا لامتناهيَّة : لن يتوقف حبّهما عن النموّ أكثر فأكثر، بما أنّه يمكنهما أن ينفتحا دائمًا بشكل أكبر على عطيّة الله. إذا أرادا أن يكون حبّهما شعلة حامية، مُتأجِّجة دائمًا، عليهما أن يحبّا الله كلّ يوم أكثر.

بالصلاة وممارسة الأسرار، ينهل الزوجان من نبع النعمة الإلهيَّة . تصون التوبة شفافيّة قلب الزوجين، ووقدة النار هذه التي تسكبها الإفخارستيّا في قلب كلّ واحد منهما، تنير وتدفىء الحياة الزوجيَّة. يا للمعنى الرائع الذي يتّخذه سرّ التوبة قبل الزواج، وتناول القربان المقدَّس أثناء القدّاس الذي يتبعه، حين ننظر إليهما من هذا المنظار.

يعود الحبّ إلى الله

الله هو مصدر الحبّ، لكنّه أيضًا غايته. يأتي الحبّ من الله، ويعود إلى الله. الله هو ألف وياء الحبّ.

الخطأ الأكبر هو أن نجعل من الحبّ مطلقًا، وغاية نهائيّة وإلهًا. دون شك، لن يرتكب الناس هذا الخطأ، لأنَّ الحبّ يتحدَّث بشكل جيّد عن حبّ آخر، ذلك **الحبّ** الذي يتوق إليه القلب البشريّ.

لو لم يتذوَّق الحبّ البشريّ هذا **الحبّ** مُسبقًا، لما كان الناس بنوا آمالاً كبيرة عليه، وما كانوا لاموه بمرارة لأنّه خذلهم. نكون في سلام مع الحبّ، إذا لم تلمع فيه نار محبَّة الله، التي من مهمّتها أن تدعونا إلى البحث، من خلال المرور فيه لكن دون التوقّف عنده. لأنّه إذا قطع وعدًا مُدهشًا للبشريّة، فهو من آخر، وهذا **الآخر** فقط هو القادر على الوفاء به. الحبّ هو مجرَّد رسول، والله هو سيّده.

مع ذلك ليس الحبّ البشريّ، هذا "الخداع العظيم". ليس هو من يخدع، بل إنّهم الناس الذين يُخطئون بحقّه. إذا كان يجب أن نتحدّث عن التضليل، فالمسؤول ليس الحبّ، بل هؤلاء الذين يجعلون منه، إلهًا كليّ القدرة، قادرًا على أن يُشبع القلب البشريّ. إليكم الأكذوبة الكبرى. حين يُخدَع، يطلب قلب الإنسان كلّ شيء من الحبّ، لكنَّ الحبّ يخذله. هل يمكن أن يكون الأمر مختلفًا؟ لا يمكن لمخلوق أن يملأ فراغ قلب رحبٌ كفاية ليستقبل الخالق. غالبًا ما تجعلنا خيبة الأمل هذه نفقد الإيمان بالحبّ، وهذا الجحود بالحبّ هو خطير بقدر ما هي عبادة الاوثان، الذي هو ثمرتها الفاسدة. بعد أن انتظر كلّ شيء من الحبّ، لم يعد القلب البشريّ يأمل بما هو مُكَلَّف مع ذلك بتأمينه له : طريق للوصول إلى الله. هذا ما كان يجب مطالبته به على الفور. فهو وسيلة وليس غاية، لكنَّ الوسيلة فعَّالة.

بالنسبة للقلب البشريّ، الحبّ هو في الواقع، الحظ العظيم. ينتزعه من ذاته، كما من استيلاء المخلوقات غير العادل. يجعله خاليًا، حرًا، ومُقّدمًا. إنَّ زيارة الحبّ هي ساعة نعمة. *" هذه القوّة التي تنادينا للخروج من ذاتنا ، لما لا نثق بها ونتبعها؟"* [15] اتّباعها إلى أبعد من الحبّ، إلى خالق الحبّ.

[15] Paul CLAUDEL, Le Soulier de satin en Theatre< II< La pleade< Gallimard, 1965,p.858

في الحبّ السعيد، يكتشف المتزوّجون سريعًا، هذا الذي يسكن وسط اتحادهم. كتب أحدهم : *"بتّ أفهم أكثر فأكثر بأنَّ الزواج الحقيقيّ هو زواج الروح مع إلهها"*. أما في الحبّ المؤلم، يحفر الألم في القلب المكان الذي كان الله سيسكن فيه، لو لم يستسلم القلب الحزين إلى تجربة اليأس، وإلى ما هو أخطر بعد، نكران هذا الجوع إلى الحبّ وإلى ما هو أبديّ في أعمق أعماق كياننا. في قلب هذه العائلات التي تعاني، من الصحيح أيضًا أن نقول إنَّ الحبّ يقود إلى الله.

على مدى حياة الزوجين، لا يتوقّف الحبّ الحيّ أبدًا عن أن يكون طريقًا يؤدّي إلى الله، لأنّه المدرسة العظيمة للعطاء والتخلّي.

الحبّ هو وسيلة، وأكثر من هذا. نتخلّى عن الوسيلة حين نبلغ الهدف، فننسى على الشاطىء، القارب الذي أصبح لا فائدة له بعد الآن. على الزوجين أن يقودا إلى الله هذا الحبّ الذي قادهما إليه. يعمل الحبّ من أجل خلاصهما : كلّ يوم، يجب أن يعملا من أجل خلاصه. لكن شيئًا فشيئًا، يحصل تغيير. في حين أنّهما سلكا في البداية طريق الحبّ للوصول إلى الله، سيأتي يوم، يكون من الأصحّ القول فيه، أنّهما يمرّان بالله للوصول إلى الحبّ. أو بالأحرى، نقول أنّ حبّهما هو في الله، ولا حاجة للتخلي عن أحدهما للذهاب إلى الآخر.

الحبّ مصدر نعمة

لقد قلنا أنَّ الله موجود في قلب الحبّ البسيط الطبيعي، والذين يبحثون عنه، يجدونه. لكن في العائلات المسيحيَّة المبنيَّة على سرّ الزواج، يكون حضوره أكثر واقعيّة وأكثر فعَّاليَّة.

ليس الحبّ، بحصر المعنى، هو الذي يصبح سرًا، بل العقد والإتحاد اللذان ينتجان عنه ويلياه، لكن الحبّ، المُلهِم لهذا العقد والروحُ الحيَّة لهذا الإتّحاد، يُشارك في السرّ، يمكننا أن نقول عنه، أنّه ليس فقط مُقَدَّس بل أيضًا مُقَدِّس.

منذ قرون والناس يطلبون من الحبّ عذوبة وفرح الحياة : كانوا يطلبون منه كلّ شيء، ومع ذلك لم يأملوا منه الكثير. جاء المسيح، والآن أصبح الحبّ قادرًاً على نقل الحياة الإلهيَّة إلى البشر. الحبّ، الذي هو علّة الفرح، أصبح مصدر نعمة. كان الناس يطلبون منه كلّ شيء، فيعطيهم أكثر من كلّ شيء، بما أنّه يعطي علّة وجود كلّ شيء : الله.

إذا صحَّ القول، أنَّ المسيحيون المتزوجون عليهم اللجوء مرارًا إلى ممارسة الأسرار، ولا سيّما الإفخارستيا، أعظم الأسرار، لكن من المؤسف أنَّهم غالبًا ما يجهلون أنّهم قادرون على إيجاد النعمة في حبّهم، في بيتهم العائلي، حيث تلمع شعلة السرّ التي لا تنطفىء. في أعمق أعماق اتّحادهم، ينتظرهم يسوع المسيح، ليعطيهم ذاته. يدعونا البابا بيّوس الحادي عشر،

ليعطينا فطنة هذا السرّ، إلى مقارنة سرّ الزواج بسرّ الإفخارستيّا. من أجل هذه الغاية، ينقل إلينا كلمات الكاردينال بيلارمان :"يمكن لسرّ الزواج أن يُفهَم من جانبين : الأوّل، حين يُعقَد، والثاني يُشبه الإفخارستيا، الذي هو سرّ ليس فقط حين يُعقَد، لكن أيضًا طوال مدّة استمراريته، لأنّه ما دام الزوجان على قيد الحياة، فجماعتهما هي دائمًا سرّ المسيح والكنيسة" (الرسالة البابويّة "الإتّحاد الطاهر")[١٦] (Encyclique Casti connubii)

الحبّ، رسالة من الله

التسبيح لله، يجب أن يكون الحبّ أيضًا رسالة من الله.

يشهد العمل الفنيّ على موهبة الفنان : على سبيل المثال، جوقة من هذا النوع، توصلنا إلى حياة ج- س- باخ. كذلك فالكائنات تُخبرنا عن الخالق وتكشف لنا أفكاره وكمالاته. تُخبرنا السماوات المُرَصَّعة بالنجوم عن علمه، يكشف لنا المحيط عن قدرته، نظرة الطفل الصافية تجعلنا نستشف نقاوته، لكن الحبّ يبوح لنا بسرّ أعمق بعد، وأكثر إثراءً للقلب البشريّ : يُعلِّمنا الحبّ الذي هو في قلب الله.

حبّ إنسانيّ عظيم، يُثبت بأنَّ الحبّ موجود على الأرض – وهذا خبر مهمّ بشكل خاص، بالنسبة للكثيرين من معاصرينا الذين فقدوا الإيمان بالحبّ – لكنّه خاصةً، يقدِّم لنا صورة حقيقيَّة عن العائلة الإلهيَّة، عن هذا الحبّ الذي يجمع الآب والإبن في وحدة الروح القدس : يُعلن أنَّ "الله محبّة". الحبّ البشريّ هو المرجع الذي يساعدنا على فهم الحبّ الإلهيّ. بقدرته على جعل كائنين بشريين يصبحان واحدًا، مع المحافظة على شخصيّة كلّ واحد منهما، يسمح لنا الحبّ باكتساب فطنة اتّحاد المسيح مع البشريّة السريّ والزواج الروحيّ للنفس مع إلهها.

إذًا هذه هي رسالة الله، المُكَلَّف الحبّ الزوجيّ بحملها إلى البشر. تسمح لنا أهميّتها بقياس التقدير والثقة اللذان يمنحهما الله لها.

خلاصة

بالنسبة للأب هنري كافاريل، هناك فرق جوهريّ بين الحبّ الذي يكنّه الأزواج المسيحيون أحدهما للأخر، خاصة الذين يجمعهم سرّ الزواج ، وحبّ الأشخاص غير المؤمنين. يتعلَّق الأمر، بتحديد مصدر هذا الحبّ بشكل صحيح، لأنّ البعض يعتقدون أنَّ الأمر يعتمد علينا بشكل حصريّ. بالمقابل، قناعتنا الدامغة بأنّه في الله، يمكن أن تقدّم لنا المزيد من العمق والنوعيّة. إذا كانت لدينا رؤية واضحة عن مصدر هذا النبع، فهذا يجعلنا ننفتح على عالم من الإمكانيات

[16] Encyclique Casti cunnubii, Rome, 31 decembre 1930

والنموّ في هذا الحبّ. بالمقابل، إنّ فشل زواجات عديدة يمكن تفسيره بسبب الإبتعاد عن الله، والخطيئة التي يمثّلها الإنفصال عن نبع الحب.

لنقترب من الله لدينا الصلاة وممارسة الأسرار، اللذين يأخذان بعدًا جديدًا بأن يصبحا نبعًا وغذاءً لحبّنا. بالإضافة إلى أنَّ هذه النعمة حيث نجد أساس الحبّ هي أيضًا الغاية النهائية. الله هو البداية والنهاية، الألف والياء. يأتي الحبّ من الله ويعود إلى الله.

لكنَّ الحبّ يميل إلى خذلنا في مواجهة الظمأ الكبير الذي لدينا جميعًا، لحبّ مطلق. يمكن لله وحده أن يعطي هذا الحبّ المطلق. إنّه لخطأ جسيم ومتكرّر، أن نجعل من الحب البشريّ مُطلقًا، لأنَّ المشاعر يمكن أن تتغيَّر، ولسنا في أغلب الأحيان قادرين على تلبية متطلِّبات حبّ، الله وحده قادر على تلبيتها.

طوال الحياة في الزواج، لن يتوقف حبّ حيّ أبدًا من أن يكون طريقاً نحو الله، في طريق القداسة التي نسلكها معًا، إنّه آداة تساعدنا للوصول إلى الله. لأنَّ الله حاضر في الحبّ البشريّ، لكن بين الزوجين المسيحيين المؤسسين على سرّ الزواج، يكون حضوره حقيقيًا أكثر، ومُقَدِّسًا أكثر، لأنّه منبع النعمة، بما أنَّ هذا **الحبّ** قادر على تلبية رغباتنا الأعمق.

الصورة المؤثره لزوجين يتحابان بعمق هي صورة حقيقيّة عن الله وشهادة فعّالة. يساعد هذا الحبّ البشريّ الآخرين على فهم الحبّ الإلهي، لأنَّ الله محبّة.

واجب المجالسة

لتحضير واجب المجالسة

اليوم ننتظر الكثير من الحبّ الزوجيّ : أن يملأ الفراغ، أن يتفهَّم، أن ينجح، أن يُعبِّر، أن يصغي، أن يجيب، أن يصمد، أن يحمي... ننتظر الكثير من الآخر، الذي هو شخص غير كامل ومحدود مثلنا. نعتقد بأنَّ كلّ وحدة سوف تُعَوَّض، وكلّ شك سوف يزول، وكلّ حوار سوف يحاكي أعماق النفس، وكلّ خطأ سوف يُعذَر. وإذا فشلنا، تحلّ خيبة الأمل، إنّها النهاية. كنا نتوقع حبّ بلا تصدّعات، بلا أعتذارات، بلا ملامة، حبّ كامل، غير مشروط وكامل.

وضع الله في قلب الإنسان ظمَأ كهذا ليبحث عن هذا الحبّ بلا كلَّل، طوال حياته، ويعتقد أنّه وجده بطريقة مميّزة في الحبّ الزوجيّ، لكن الله وحده هو الجواب. هذا الظمأ لا يمكن أن يرويه، بشكل كامل، شخص بشريّ آخر. ننسى النبع ونبحث حيث تنعكس صورته، لكن هذا الإنعكاس، حتى لو كان وعدًا، لا يمكن أن يحلّ مكان النبع الحقيقي.

اقتراحات أسئلة لواجب المجالسة

١- إلى أيّ حدّ اختبرنا خيبات الأمل هذه المذكورة في الأسطر السابقة؟ ليعطي أحدنا الآخر أمثلة واقعيَّة. ما التفسير الذي يمكننا أن نعطيه عن هذه المواقف؟

٢- *" إنَّ نبع الحبّ المسيحيّ ليس في قلب الإنسان، بل إنّه في الله"*. ما رأينا بهذا التأكيد القويّ للأب هنري كافاريل؟ بماذا، في علاقتنا، وضع بعض المسافة مع الله، أو حتى في بعض الحالات نسيان الله، يمكن أن يضرّ بجودة حبّنا الزوجي؟ على عكس ذلك، ما كانت الإنعكاسات على حبّنا الزوجي حين كان أحدنا أو كلانا على مقربة أكثر من الله؟ بشكل واقعي، كيف استطعنا أن نعيش هذا القرب الأكبر من الربّ وكيف السبيل ليكون الوضع هكذا كلّ يوم أكثر؟

٣- " *في حين أنّهما سلكا في البداية طريق الحبّ للوصول إلى الله، سيأتي يوم، يكون من الأصحّ القول فيه، أنّهما يمرّان بالله للوصول إلى الحبّ. أو بالأحرى، نقول أنّ حبّهما هو في الله، ولا حاجة للتخلي عن أحدهما للذهاب إلى الآخر"*. بحسب أقدميّة زواجنا، ربّما لم نصل بعد إلى هذه المرحلة. ما رأيكم بهذا التأكيد؟ هل نعيشه في علاقتنا الزوجيّة؟ ما هي المعوقات التي صادفناها على هذا الطريق وكيف السبيل لإزالتها؟

٤- *"لأنَّ الله حاضر في قلب الحبّ البشري البسيط والطبيعي، يمكننا القول أنَّ الذين يبحثون عنه يجدونه. لكن بين الزوجين المسيحيين المؤسسين على سرّ الزواج، يكون حضوره حقيقيًا أكثر، ومُقَدّسًا أكثر"*. سرّ زواجنا : كيف نحدِّده؟ كيف نعيشه؟ ما هي مفاعيله الملموسة على علاقتنا الزوجيّة؟

٥- يصرّ الأب هنري كافاريل على النِعَم التي يهبها الحبّ الزوجيّ، وعلى النِعَم التي يهبها سرّ الزواج. هل يمكننا تسميتها، وشرح النِعَم التي يهبها الحبّ الزوجيّ والتي يهبها سرّ الزواج؟

اجتماع الفرقة

الإصغاء لكلمة الله، (رو ٨، ٣١-٣٩)

وبعد هذا كلّه، فماذا نقول؟ إذا كان الله معنا، فمن يكون علينا؟ الله الذي ما بخل بابنه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعًا، كيف لا يهبُ لنا معه كلّ شيء؟ فمن يتّهم الذين اختارهم الله، والله هو الذي برَّرهم؟ ومن يقدر أن يحكم عليهم؟ والمسيح يسوع هو الذي مات، بل قام، وهو الذي عن يمين الله يشفع لنا. فمن يفصلنا عن محبَّة المسيح؟ أتفصلنا الشدَّة أم الضيقُ أم الإضطهاد أم الجوع أم العريُ أم الخطر أم السيف؟ فالكتاب بقول :" من أجلك نحن نعاني الموت طوال

النهار، ونُحسبُ كغنمٍ للذبح". ولكنّنا في هذه الشدائد ننتصر كلّ الإنتصار بالذي أحبَّنا. وأنا على يقين أنَّ لا الموت ولا الحياة، ولا الملائكة ولا رؤساء الملائكة، ولا الحاضر ولا المستقبل، ولا قوى الأرض ولا قوى السماء، ولا شيء في الخليقة كلّها يقدر أن يفصلنا عن محبَّة الله في المسيح يسوع ربّنا.

لتحضير الإجتماع : اقتراحات أسئلة

١- بناءً على واجب المجالسة (السؤال لرابع) لنتبادل الحديث حول مفهوم كلّ واحد منّا لسرّ زواجه.

٢- "*. إذا كان يجب أن نتحدّث عن التضليل، فالمسؤول ليس الحبّ، بل هؤلاء الذين يجعلون منه، إلهًا كليّ القدرة، قادرًا على أن يُشبع القلب البشريّ. إليكم الأكذوبة الكبرى*" .

من المؤكّد أنّنا اكتشفنا هذا الأمر، نحن بذاتنا، أو عرضناه أمام أقرباء لنا. كيف يحثنا هذا على أن نكون شهودًا لبشرى الزواج المسيحيّ السارة؟ خاصة تجاه أولادنا، أحفادنا، أولادنا بالمعموديّة... كيف نحذر من خطر إعتبار أنَّ ذات يوم، سيكون حبّنا البشريّ كافيًا لإشباعنا؟

٣- نتكلّم أحيانًا عن نِعَم سرّ الزواج. بعد قراءة هذه النصوص للأب هنري كافاريل، وبعد أن قمنا بواجب المجالسة، هل يمكننا أن نُسميها، مع التمييز بين النِعَم المُعاشة وتلك التي هي أكثر صعوبة لندركها؟ إلى أيّ مدى يريحنا أمر ضرورة حضور الله في الحبّ الزوجي؟ كيف يكون سرّ زواجنا كنز؟ هل يقودنا إلى القداسة؟ بماذا يلزمنا هذا لنشهد عنه؟

٤- كيف يمكننا أن نعتمد أكثر على سرّ الزواج، لتخطّي بعض الصعوبات الزوجيَّة، أو حتى نجعل حبّنا نزيهًا أكثر؟

٥- "*بالصلاة وممارسة الأسرار ينهل الأزواج من ينابيع النعمة الإلهيَّة. تصون التوبة شفافيَّة قلب الأزواج (راجع الفصل الخامس)، وشرارة النار هذه التي تزرعها الإفخارستيا في قلب كلّ واحد منهم، تضيء وتُدفىء الحياة الزوجيَّة*" . كيف تساعدنا صلاتنا الشخصيَّة والزوجيَّة على "*أن نغرف من ينابيع النعمة الإلهيَّة*"؟ بأيّة طريقة اختبرنا "*شرارة النار هذه*" التي هي الإفخارستيا، التي "*تضيء وتدفىءالحياة الزوجيَّة*" . هل نهتم أن نحدِّد معًا، قبل كلّ إفخارستيا، التقدمة المشتركة التي سنحملها حتى تتغيّر حياتنا الزوجيّة بشكل ملموس؟

الفصل الخامس

الإعتناء بالحبّ

يقترح النص الذي نقدّمه فيما يلي، سلسلة اعتبارات عامة، كان يقترحها الأب هنري كافاريل على " الأزواج الذين يعانون"، أزواجٌ، في مواجهة الصعوبات، كان بإمكانهم أن يقعوا في تجربة الإبتعاد والإستسلام. إنَّها سلسلة اقتراحات مُسمَّاة *علاجات*، كان يعتقد أنّه يمكنها أن تكون مفيدة لكثيرين.

جهد في الوضوح

في البداية، يجب القيام بمجهود لنكون في غاية الوضوح، يجب أن نريد أن نرى، حتى لو كان هذا يؤدّي إلى اكتشافات مؤلمة، وحتى وخاصة لو انجرينا إلى الكشف عن أخطاء شخصيَّة، وإلى إدانة أنفسنا. كم يكون مُستحبًّا لو يُبذَل هذا المجهود من قِبَل الإثنين. الحق يُقال، في اللحظة التي يباشر فيها الزوجان بالقيام بهذا المجهود معًا، لن يعودا بعدها منفصلين. يجب القيام بكلّ ما يلزم، حتى يصبح هذا الحوار الصادق ممكنًا ذات يوم. " القيام بكلّ شيء" لا يعني التسرَّع في الأمور: إنها لحكمة عظيمة أحيانًا أن يجيدا الإنتظار، أن يؤجِّلا، فتصرَّف خاطىء قد يؤخِّر بشكل ملحوظ ساعة الشفاء. ومع ذلك إذا كان يجب على المرء أن يعرف كيف ينتظر، من باب الحكمة والصبر، يكون من الخطأ التهرّب من الأسئلة بسبب الجبن. ألا يأخذ كلّ شيء في الظلام، شكل أشباح مُخيفة تختفي وكأنّها سحر عندما يتم تشغيل الضوء؟

تشغيل الضوء، يعني البحث عن أسباب السوء. الأمور الظاهرة لا تعبّر دائمًا عن الواقع الحقيقيّ: لا يجب أن ندعها تُبهرنا. من المهمّ الإرتقاء إلى أبعد منها. دون الخوف من اكتشاف أخطاء الشريك، علينا خاصة أن لا نغمض أعيننا عن أخطائنا الخاصة. من الضروري مواجهتها. ليس الهدف أن نتأسّف عليها – خيبات الأمل الكبيرة ليست حلولاً للمشاكل – بل أن نعترف بها أمام ذاتنا، وربّما حان الوقت، لنعترف بها أمام الآخر. أعتقد بطيبة خاطر، بأنَّ مواقف كثيرة تُفسَد لأنَّ الأزواج يتراجعون أمام مجهود في البحث والصراحة. لو فعلوا هذا لكانت الأمور حُلَّت بسرعة. الحقيقة تُحرِّر.

حين نحدِّد أسباب السوء، يجب أن نتزوَّد بعلاجات حقيقيّة. الدواء المُسَكِّن يُسكِّن الألم مؤقتًا، لكن بما أنَّه لا يصيب الداء، فهو لا يشفي إطلاقاً.

تغيير القلب

يكون أوّل العلاجات أحيانًا تغيير القلب. أعرف أننا ننتظر أن يتغيَّر الشريك، لكن إذا كانت هذه ردّة فعل الإثنين، تكون النتيجة الحتميّة أنّ لا شيء يتغيّر.

كم من الأمور التي يجب تصويبها في عمق القلب! في بادىء الأمر، ألا نجد دائمًا جذور هذه العشبة السيئة، التي هي وهم السعادة، ما زالت حيّة؟ كما لو أنَّ السعادة الكاملة، يمكن أن نجدها على هذه الأرض، كما لو أنَّ الزواج عليه أن يُقدِّم سعادة جاهزة... كم من مصائب تجد أساسها في وهم عدد كبير من الأزواج الحديثي العهد. يجب طرده نهائيًا.

بعدها يجب الإنقضاض على خيبات الأمل وثمارها السامّة. أفكِّر بشكل خاص، بهذه الأحقاد، بهذه العداوات، التي تتكاثر في قلب يعتقد أنّه مجروح. أنظروا عن قرب أكثر، وميّزوا في كلّ هذا، الشعور الذي لم أسمّيه بعد، والذي عدد قليل من الناس يتجرّأون على إعطاء اسمه الحقيقي: الكراهيّة. أرجوكم، لا تفكّروا بسرعة، عند قراءة هذه الكلمة، بأنَّ هذا الشعور الذي يمثله هو غريب عنكم. أعرف جيّدًا، أنّه في خضم حياة اليوم المزدحمة، تتأثّر الأعصاب بسرعة كبيرة دون أن يكون القلب سيئًا. أنا حريص على عدم الخلط بين نفاذ الصبر والكراهيّة، ولكنّي أعلم أيضًا أنّه من الخطير أن نطلق العنّان لهذه الإنزعاجات التي إذا تمَّ نفيها في البداية فأنّها تلوّث القلب لاحقًا وتخاطر بإثارة الكراهية. فلنتحلّى بالشجاعة لنسمّي باسمه هذا الزاحف في داخلنا الذي يستيقظ في أوقات مُعيَّنة، ينتصب ويصدر صفيرًا. أليست الكراهيّة هي التي تكشف عن ذاتها في العديد من ردود الفعل والأفكار؟

هذه الفرحة التي تغمرنا عندما نفاجىء الآخر حين يُخطىء، هذه الحاجة الفظّة لنكون على حق ضدّه، هذا التلميح الخبيث إلى خطأ من الماضي، هذا البحث عن الشكاوى – كالصيّاد الذي يضيف سهامًا إلى جعبته – هذا الإهتمام الغيّور بعدم ترك أيّة فرصة لبث سمّ الإحتقار في كلمة أو حركة، أليست هذه الكراهيّة، التي تكون أقل أو أكثر خطورة حسب الحالة، لكنّها دائمًا مؤذيّة؟ لوقت محدَّد، يمكنها أن تسكن الروح مع الحبّ، لكن ذات يوم، بما أنّها طفيلي مُكتَسِح، سوف تخنقه. أعتذر عن ما يمكن أن يبدو قاسيًا في أقوالي، لكن لا يمكننا أن نطهّر جرحًا دون أن نسبب الألم للمريض. بالتأكيد، هناك قلوب سخيّة، طيّبة للغاية ورحومة، تجهل كلّ شيء عن هذا الألم الفظيع. دون شك، هذا حالات نادرة، وهذه القلوب ليست بمنأىً عن تجربة الكراهيّة.

يجب أن نزرع في ذواتنا الترياق ضد الكراهيّة : الرحمة التي تسامح. أن نسامح، يعني أن نُمزِّق الصفحة التي كنا نسجِّل عليها، بخبث أو بحنق، حساب دين الشريك و نستعيد حياله موقف العطاء بدون تحفّظ. أعتقد أنَّنا نمسّ هنا إحدى النقاط الحساسَّة في حياة الزوجين. عبث

البحث عن علاجات أخرى، ما دمنا لم ننل النعمة لنعرف كيف نسامح، " سبعون مرّة سبع مرّات"، إذا لزِمَ الأمر. يا للشعور بالراحة في القلب الذي سامح ! إنتهى، هذا الجو المُهلك من التذمّر واللوم والمطالبات. دون شك، ربّما يبقى الألم في القلب، لكن تختفي المرارة. لأنّنا أخذنا زمام المبادرة في المسامحة – ليست المسامحة المُتعالية التي يتّسم بها المُتكبّر- بل المسامحة المتواضعة التي يتّسم بها من لا يتردَّد في الإعتراف بأخطائه، فربّما يولد الشريك من جديد في الحبّ.

تغيير القلب، يعني أيضًا تغيير النظرة. تخلّوا عن نظرة الإنتقاد وتبنّوا نظرة الحبّ التي، من خلال القشرة الخشنة إلى حدٍّ ما، تكشف عن نسغ حيّ، يعمل من الداخل ويجهّز البراعم والأزهار لربيع قد يكون في بعض الأحيان أقرب ممّا نعتقد. من قال لك، أنّه في هذا الكائن الذي يبدو في الظاهر غير مبالٍ أو قاسي أو عنيد، لا يوجد قلب طفل يبكي أو ينزف وينادي طلبًا للمساعدة ؟ عدد كبير من الراشدين، المزعوم أنّهم أشرار، ليسوا إلاّ غلمان بائسين يحتاجون لمن يهدهدهم! أمور كثيرة، وأشخاص كُثُر خذلوهم أو جرحوهم، لدرجة أنَّهم لم يعودوا يتجرّوءا على الإيمان بالحبّ، فلبسوا درعًا يحميهم من الضربات. لكن نظرة الحبّ خاصتكم تخرق الدرع.

العمل على سعادة الشريك

لا يكفي أن نغيّر قلبنا، بل يجب أن نحبّ. إذا نسينا كيف نحبّ، يجب علينا أن نتعلّمه من جديد. استعيدوا هذا الحبّ الذي، يوم خطوبتكم، دفعكم للقول :هل أنا قادرعلى جعله سعيدًا؟ وجَعَلكم تَعِدون بعدم توفير شيء من أجل تحقيق هذه الغاية. عودوا إلى قرارات تلك الساعة المُشعَّة. إبحثوا عمّا يؤذي الآخر في طريقة تصرّفكم، وتجنّبوه بدقّة. إكتشفوا رغباته، والتزموا بتلبيتها. لا تدعوا شيئًا في عالمه الخاص يكون غريبًا عليكم : اهتموا بأفكاره، بمشاعره، بأفراحه، بأحزانه، بمشاريعه. تعلّموا كيف تميّزوا بين ما هو عليه، وما يعمله، ما يستحق إعجابكم، واعملوا على ترجمة هذا الإعجاب أمامه. لا تتوانوا عن الإعتراف بحركات اللطافة، مهما كانت ضئيلة أو حتى خرقاء، التي يحاول من خلالها أن يُظهر لكم بعض الحبّ. هكذا تشجعونه على الحبّ. شجّعوه على العطاء أيضًا : يجب أن تجعلوه يعرف أنّكم بحاجة إليه. ربّما في داخله، لم ينكسر بعد هذا الدافع، الذي هو في كلّ إنسان على صورة أكثر دافع سريّ في قلب الله : الرغبة بجعل الآخر سعيدًا.

هل لاحظتم أنني لم أكلِّمكم عن متابعة " حديث" شريككم – إذا كان هناك أيّ حاجة لهذا – لكن فقط العمل على إسعاده؟ أعتقد بسهولة أنَّ أفضل طريقة، وأفضل من كلّ العِظات وكلّ الحماسة، للحصول على تحوّل الآخر، هي العمل من أجل فرح هذا الآخر.

المشاركة

أن نحبّ، يعني أيضًا أن نتشارك. تكون صعبة هذه المشاركة، حين نواجه شخصًا غير جائع، ولكن لا ينبغي التخلّي عنها بأيّ ثمن. حين أتحدّث عن المشاركة، أفكِّر خاصة، بالمشاركة بالأمور الروحيَّة. إذا كنتم لا تدعوه يرى روحكم ورغباتها، أفراحها، تطلّعاتها وحياتها العميقة، فكيف تتوقعون منه أن يحبّكم؟ إنّه اكتشاف روحك الحيّة التي لفتت انتباهه ذات يوم وأيقظت قلبه، لكن اليوم، إذا أنزلت "الستار الحديديّ"، إذا رفضت أن تُظهر له ما هو محبوب فيك، فلن تساعده بعد الآن على الحبّ. لمَ ينسَ عدد كبير من الأزواج، بأنَّ إحدى أعظم شرائع الحبّ، تقتضي بالعمل كلّ يوم من أجل ربح الآخر؟ كما في الأيام الأولى من العلاقة، تبقى الوسيلة ذاتها : العمل من أجل الإعجاب (...)

لا أتردّد في أن أضيف : إعرفوا كيف تتشاركوا مصاعبكم. إحذروا جدار الصمت هذا، الذي يفصل بين شخصين بشكل أقوى من البحار أو القارات. لكن هناك الطريقة ... إعترفوا بالتبادليّة، وحتى استفزوها. كم يمكن أن تكون تلك الساعات مفيدة عندما يهدأ كلّ توتّر، في هدوء المساء، فيبوح الزوجين أحدهما للآخر بما يثقل قلبه. ليس بهدف تسكين أنانيتهما، بل تعبيرًا عن الحبّ. ضيق مُعلَن...

اللجوء إلى نِعَمِ سرّ الزواج

في الختام أريد أن أحدِّثكم عن الحافز الأكثر صدقًا لدفعكم إلى الرجاء : سرّ زواجكم. إنّه بالنسبة إلى عائلتكم قوّة تعمل، تستخدم أدنى الجهود وحتى الرعونة والأخطاء لتحقيق اتحادكم. لكنّه يتطلَّب تعاونكم. "*كما أنّه في الواقع، في نظام الطبيعة،لا تظهر الطاقات التي نشرها الله بكامل قوّتها، إلاّ إذا استخدمها البشر بعملهم الخاص وبصناعتهم الخاصة، تحت طائلة عدم الحصول على أيّة فائدة منها، هكذا فإنَّ قوّة النِعمة، التي انبثقت من السرّ وانسكبت في النفس وبقيت فيها، يجب أن تُخَصَّب بإرادة الناس الطيّبة وعملهم*". (*بيوس الحادي عشر*)

إنَّ ثقتكم هي التي تسمح لهذا السرّ العظيم بممارسة فعاليته الكاملة، ضاعفوا إذًا أعمال الإيمان بفضيلته، للحصول على نعمته الشافيّة، المُهدِّئة، المُعزيَّة والمُوحِّدة. بيوس الحادي عشر ذاته كتب :" يحق لكم الحصول على معونة النعمة الفعليّة". أتفهمون ما هو الرائع في هذه الكلمات :

يحق لكم؟ يعود إخفاق العائلة في أغلب الأحيان، إلى الإخفاق في إيمانها. المسيحي الحقيقي يعرف أنَّه ليس هناك من أوضاع يائسة : إذا ما ضرب الصخر، يمكن أن يخرج منه نبع ماء، أقسى القلوب، يمكن أن تُفتَح، ويمكن للصحراء أن تُزهر. كم هو جميل، هذا الحبّ الذي يظهر بعد المحنة، يكون أقوى، وأنقى وأكثر شفافيّة من اليوم الأول. كم أنَّ الجوّ رائع تحت هذا السقف.

خلاصة

يُقدَّم لنا الأب هنري كافاريل دليلاً مُختارًا لحلّ النزاعات في قلب الزواج. يحدِّثنا عن أهميَّة وجود الإرادة لإصلاح الأمور وإظهار جهد الوضوح على طريق شفاء الحبّ :" يجب أن نريد أن نرى ". والأفضل هو أن نواجه هذه العمليّة معًا، وهذا أمر ليس بهذه السهولة. يجب انتظار الوقت المناسب بالنسبة للإثنين، لكن دون التهرّب منه بسبب التخاذل. في النهاية، سترافقنا نعمة الله دائمًا وتسكب نورها علينا. يجب أن نتحلَّى بالشجاعة لنعرف كيف نعترف بضعفنا بكلّ صدق. علينا أن نطلب أن تكون لدينا نظرة يسوع لنرى الحقيقة في علاقتنا.

إنطلاقًا من الحقيقة، نربح حريَّة البحث عن علاجات وتغيير قلبنا. أوَّل أمر يجب تغييره هو فكرة أنَّ الآخر هو الذي يجب أن يتغيَّر. ربما يكون هذا صحيحًا، لكن إمكانياتنا ضئيلة لتحقيق هذا الأمر. غير أنَّه يمكننا أن نتغيّر نحن، ونغيّر طريقتنا في رؤية الأمور وفي الإنتظار. في علاقة دامت عدّة سنوات، يمكن لمشاعر سلبيَّة أن تتطوَّر حيال شريكنا، الضغينة وحتى الحقد. ربما ليس حيال الشخص، بل حيال بعض مواقفه. إذا تركنا هذه العشبة الضارة تنمو دون معالجتها، سوف تخنق حبّنا. هنا يجب أن نغيّر قلبنا وندع نور المسامحة يدخله، الذي هو الترياق ضد الحقد. معرفة المسامحة " سبعين مرّة سبع مرّات" وتغيير نظرة الإنتقاد لتبنّي نظرة ودودة، هما تحدِّيان لتغيير القلب.

لكن الأب هنري كافاريل يذهب إلى أبعد من هذا، ويؤكِّد على أنَّه ليس علينا فقط أن نغيّر القلب، بل يجب أن نحبّ أيضًا. وإذا نسينا كيف نحبّ، يجب أن نتعلّمه من جديد، وذلك بأن نتذكَّر كيف كان أحدنا يحبّ الآخر أيام الخطوبة، حين كنّا نعمل من أجل سعادة وفرح الآخر، وهذه أفضل طريقة لتغييره.

أخيرًا، يكمن أعظم حافز رجاء في سرّ زواجنا. هذا السرّ، كباقي الأسرار، هو نبع نِعَم حين ندعه يعمل وذلك بالصلاة والإيمان. يؤكِّد الأب هنري كافاريل، بأن انهيار الزواج يعود غالبًا إلى انهيار الإيمان.

واجب المجالسة

لتحضير واجب المجالسة

من المستحيل أن نعيش معًا طوال سنوات، دون أن تظهر الرتابة بلا أعذار. الحياة مُكوَّنة بقسمها الأكبر من الأمور الروتينيّة التي لا يمكننا التهرّب منها. تتتالى الأيام الواحد تلوى الآخر، تقريبًا بجداول الأوقات ذاتها، تتكرّر الحركات ذاتها، الأعمال ذاتها، والصعوبات ذاتها.

تصبح الحوارات أقصر أو تتكرَّر. لا تُخبر الكلمات إلاّ عمّا يحصل وغالبًا عن الأمور التي تسير بشكل سيء : صعوبات في العمل، خلافات مع الزملاء في العمل، مشاكل صغيرة مُتعلِّقة بالأولاد، سوء تفاهم مع الأهل، هذا إذا لم تكن شكاوى ومطالب. يمكن للروتين أن يسبب أزمة خدّاعة ، تُفسد الحياة، المشاريع والأحاسيس.

نكتفي بالقيام بما يجب علينا القيام به يومًا بعد يوم. نعلم أنّ الذنب ليس ذنب الآخر، ومع ذلك نلومه على عدم تمكّنه من كسر هذه الحلقة المغلقة التي سبَّبت الملل الذي يشعر الشريكان أنهما مسجونان فيها. نكتفي بالصمود، بالتحمّل، بالقول أنَّ الحياة هي هكذا، لا يمكننا شيء حيال الأمر. بالمقابل، ليكون الحبّ حيًّا، هو بحاجة ليندمج بكلّ ما هو غير مُتوقَّع، بكلّ ما هو مفاجيء، هو بحاجة لئلا يبقى في المُضمَر، أن يظهر بكلمات وبحركات، تُطلق حيويته من وقت لآخر.

نرى أخيرًا بأنَّ المسامحة تكون ممكنة إذا ما أعطيناها واستقبلناها كما يجب أن تُعطى وتُستقبل. إذا كانت المسامحات مُتعالية، تؤدّي إلى ثورة. إذا كانت مُتحفِّظة، فقد تُذِل الآخر، الذي يخاف دائمًا من إنتكاسة. بدون حبّ، لا يمكن للمسامحات أن تُخلِّص وأن تُنقذ. يمكن للمسامحة الحقيقيَّة ، التي هي ثمرة حبّ نقيّ وطاهر والله وحده قادر على زرعه في قلوبنا، أن تُفجِّر نبع مياه جارية في قلب الشخص المُسامَح والذي سامح.

اقتراحات أسئلة لواجب المجالسة

نظرة واضحة إلى " الروتين" : الروتين ينقذ الزوجين ... تأكيد مُدهش. لماذا؟

تخيّلوا أنه كلّ يوم عند نهوضكم تسألون أنفسكم الأسئلة التالية:

- أين سأنام هذا المساء؟

- أين سأعمل اليوم؟

- من سأحبّ طوال اليوم؟

وهلمَّ جرى، يصبح الوضع لا يُطاق، يملأ القلق أيامنا. يحتاج الكائن البشريّ إلى قاعدة مُطمئنة. ليعمل ماذا؟ ليضع فيها، بالتحديد، الجزء الخاص به من الإبداعيَّة و غير المتوقّع. وهذا الأمان، وهذه الثقة بالآخر المُرتكزة على بنية بشريَّة، تسمح لنا بأن يفاجيء أحدنا الآخر، ويبتكر له "هدايا" بحيث يُغذّي الحبّ.

١- بالتأكيد، اختبرنا جميعنا الروتين في حياتنا الزوجيَّة، واستطعنا أن ندرك أنّه يجعل حبّنا باردًا، مُمِلاً، لا بل أنَّه يقود إلى أزمة يصعب تقريبًا تخطّيها. هل يمكننا أن نذكر ما الذي يشكّل لأحدنا روتينًا ثقيلاً؟ كيف يمكننا، أبعد من روتين أحيانًا أساسيّ، أن نُدخل إلى حياتنا بعض التجدّد، بعض الأمور غير المتوقّعة، بعض الخلق، بعض الفكاهة...؟ أيّة كلمات وأيَّة حركات تسمح لنا بإعادة انطلاقة حيويّة حبّنا، وحيويتنا الخاصة؟

٢- جهد من الوضوح يقتضي أن نكون مُحضّرين.

يمكن <u>للمرحلة الأولى</u> أن تكون تحضيرًا شخصيًا للإجابة على الأسئلة التالية، خطيًا إذا أمكن :

- كيف نشعر بأنفسنا في حياتنا؟ كيف نشعر بأنفسنا في حياتنا الزوجيّة؟ هل لديّ نقاط حسَّاسة، مؤلمة أحبّ أن أتحدَّث بها مع الآخر، ما هي؟

- أين حبّنا في كلّ هذا؟ كيف تطوَّر منذ اندهاش اليوم الأول؟ يمكن أن يكون قد تلف أحيانًا بسبب مواقفنا.

في <u>المرحلة الثانية</u> لنتشارك الأفكار مع شريكنا:

- حول ما كتبه كلّ واحد منّا،

- عن تقصير كلّ واحد منّا، بعد أن كشفناه. بعدها فالنحاول معًا نحن الزوجين، أن نحدِّد الأسباب. أخيرًا، لنسعى بجهد لإيجاد العلاج لكلّ ما يُفسد حبّنا الزوجيّ.

٣- تغيير قلبنا.

من بين العلاجات التي حدّدناها أثناء المشاركة في السؤال السابق، لابدّ أنّنا لاحظنا أهميَّة تغيير قلبنا.

يُحدّثنا الأب هنري كافاريل عن وهم السعادة، وهم السعادة الكاملة و السهلة على هذه الأرض. إلى أيّ حدّ، يكون هذا الوهم أحيانًا، دائمًا راسخًا في عقلنا؟

وحدها المسامحة التي لا تتوقف، تسمح باستعادة موقف العطاء بدون تحفّظ، نظرة حبّ وليس نظرة انتقاد. التوبة (سرّ المصالحة) تعمل على صيانة قلب الزوجين (الفصل الرابع). بأيّ طرق استطعنا أن نقوم بهذه الإختبارات؟

٤- العمل على سعادة الشريك.

" يجب أن نحبّ" يقول لنا الأب هنري كافاريل، أن نتعلّم الحبّ من جديد إذا دعت الحاجة، استعادة حبّ اليوم الأوّل المُوَجَّه نحو سعادة الشريك.

بالنسبة إلى شريكنا، لنتبادل الحديث حول كيفيّة اهتمامنا بأفكاره، بمشاعره، بأفراحه، بأحزانه، بمشاريعه. هل نُعجَبُ دائمًا بشريكنا؟ كيف نُظهر له هذا وكيف يُدرك شريكنا أو لا هذا الإعجاب؟

٥- أن نحبّ يعني أن نتشارك.

لنتحاور حول الطريقة التي نتبادل بها الخيرات الروحيّة، الحياة الروحيَّة، روحنا وعمق قلبنا. لكن أيضًا أفراحنا وهمومنا.

٦- أخيرًا، ألا يمكننا، إلا إذا كنّا قد قمنا بهذا، أن نأخذ كلّ مساء وقت لإعادة قراءة الأسلوب الذي به عشنا وشعرنا بالحبّ الزوجي؟ ونشكر الله على الأوقات الجميلة التي عشناها، ونطلب الصفح عن نواقصنا.

اجتماع الفرقة

الإصغاء إلى كلمة الله: (كو ٣، ١٢- ١٧)

وأنتم الذين اختارهم الله فقدَّسهم وأحبَّهم، ألبسوا عواطف الحنان والرأفة والتواضع والوداعة والصبر. احتملوا بعضكم بعضًا، وليسامح بعضكم بعضًا إذا كانت لأحدٍ شكوى من الآخر، فكما سامحكم الربّ، سامحوا أنتم أيضًا. والبسوا فوق هذا كلّه المحبَّة، فهي رباط الكمال. وليملك في قلوبكم سلام المسيح، فإليه دعاكم لتصيروا جسدًا واحدًا. كونوا شاكرين. لتحلّ في قلوبكم كلمة المسيح بكلّ غناها لتعلِّموا وتنبِّهوا بعضكم بعضًا بكلّ حكمة. رتّلوا المزامير والتسابيح والأناشيد الروحيَّة شاكرين الله من أعماق قلوبكم.

ومهما يكن لكم من قول أو فعل، فليكن باسم الربّ يسوع، حامدين به الله الآب.

لتحضير الإجتماع : اقتراحات أسئلة

بالأخذ بعين الإعتبار الأسئلة المَتعدِّدة البالغة الأهميَّة والمتنوِّعة في هذا الفصل، والتي أُعيدَ طرحها في اقتراحات الأسئلة لواجب المجالسة، نقترح أن يُكَرَّس وقت كافٍ لتبادل الحوار حول نقطة الجهد هذه، حتى يُنقل كلّ ما يتمنى قوله كلّ عضوّ من الفرقة عن هذا الموضوع، في هذا الوقت وليس أثناء التبادل حول موضوع الدرس. لن يكون هناك وقت محدَّد لهذا الأمر أثناء الإجتماع. يقتضي هذا احترامًا عميقاً لكلّ ما يتمنّى كل عضو من الفرقة قوله عن الأسئلة التي تطرّق إليها أثناء الحوار الزوجي.

الفصل السادس

تنمية الحبّ الزوجيّ

الأغابي الزوجيّ

للإشارة إلى أصالة الحبّ الأخويّ المسيحيّ، وحتى لا نماثله مع شكل آخر من الحبّ، استعمل كُتّاب الكتاب المقدَّس العهد الجديد كلمة يونانيَّة، لم يكن استخدامها شائعًا: agape أغابي. [١٧] لا نعرف كيف نترجمها إلى الفرنسيَّة... كلمة حبّ شائعة جدًا، في حين أنّ كلمة محبَّة، التي هي ترجمتها الحقيقيَّة، قد أصبحت مُبتذلة ومُهانة، منذ أن ابتكروا مبيعات المحبَّة وأسواق المحبَّة ! لدرجة أنّ هذه الكلمة النبيلة من بين الكلمات، أصبحت في اللغة الرائجة مرادفًا للتنازل التقيّ الغامض (...)

يدعونا المسيح إلى محبَّة جميع إخوتنا. لكن بما أنَّه يستحيل أن نحبّهم جميعهم بالحبّ نفسه الواقعي والفعَّال، يريدنا الربّ أن نكون مرتبطين بشكل خاص ببعض الأشخاص، حتى نذهب معهم إلى أبعد ما يمكن في ممارسة الأغابي. وأعتقد أني سمعت المسيح يقول للمسيحيين المتزوجين :" وصيتي، عليكم أن تعيشوها، أنتم، في العلاقة الإنسانيَّة الأضيق، الأقوى، والأكثر حميميَّة : الزواج. فليحب أحدكم الآخر كما أنا أحببتكم".

الحب والأغابي

" أحبّوا بعضكم بعضًا كما أنا أحببتكم !" ماذا ستفعلان، أيها الزوج والزوجة، لتجيبا على تطلّب المسيح هذا، لاكتساب هذا الحبّ ونموّه، هذه الأغابي الزوجيّة؟ ما دام مصدر هذا الحبّ إلهيّ، كما رأينا سابقًا، يجب أن تستمدّاه من المنابع الإلهيَّة، وذلك بالتأمّل بكلمة الله، بتناول القربان المقدّس، بالصلاة، لكنني لن أتوقّف عندها اليوم. بما أنَّ هذا الحبّ هو حبّكما، وقد أُعطِيّ لكما، وأنتم تملكانه، عليكم أن تتمرَّسا به. وإلاّ كأيَّة كفآءة لا تُستَخدَم، سوف ينقضي. لكن كيف يتمّ التمرّس بالأغابي الزوجيّة؟ هذا ما يجب أن نفكِّر فيه مُطوَّلاً.

لا تتصوّرا خاصة أن ممارسة الأغابي، يعني الإزدراء بعناصر الحبّ البشريّة. أنظرا إلى المسيح – بما أنَّه يجب أن نحبّ كما هو أحبَّ. فقد أحبّ بالتأكيد الذين يمارسون الأغابي، بما أنَّ هذه الاغابي هي إنسانيَّة ! كم من مرّة أظهره الإنجيل عطوفًا مع تلاميذه ومع صبية فلسطين، متأثرًا ورحومًا حيال الشقاء البشريّ، ودموعه أمام قبر أليعازر دفع اليهود للقول بتعجّب :" كم

---

17 أغابي تشير أوّلاً إلى الحبّ الذي يحبّ به الأقانيم الثلاثة بعضهم بعضًا، ثمّ إلى الحبّ الذي يحبّون به البشر وأخيرًا هذا الحبّ نفسه الذي يخص الله ولكنّه ينتقل إلى الإنسان حتى يحبّ الله وجميع البشر. إنَّ المحبَّة التي تقترحها الوصيّة الجديدة هي من بين جميع اشكال المحبَة، المحبَّة الأخويَّة، تلك التي نشأت بين تلاميذ المسيح.

يحبّه !". إنّ حبّ الأغابي لا يعني التخلّي عن طرق المحبّة البشريَّة، بل أن ندع إندفاع هذا الحبّ الذي ننهله من قلب الله، يعبر إلى كلّ الكلمات وكلّ تعابير الحبّ البشريّ.

دعونا نرى ما الذي يحدث للحبّ الزوجي تحت دافع الأغابي، ولكي ننظر إلى الموضوع عن كثب، دعونا ننطلق من الشرائع الأساسيَّة للحبّ الزوجيّ : تَعرف على الآخر ودعه يتعرّف عليك، تولى مسؤولية الآخر واسمح له بتولي مسؤوليتك، أعطِ واستقبل.

التعرّف على الآخر وجعله يعرفك

لدى الحبّ والمعرفة قاسمًا مشتركًا : يجب أوّلاً أن نتعرَّف حتى نحبّ، تبدو هذه ملاحظة سخيفة. لكن هل لاحظتم أنَّ حبّكم، ليبقى حيًا، يتطلَّب معرفة مُتجدِّدة لشريككم؟ من جهّتي، غالبًا ما لاحظت أنَّ الإهمال وتحويل النظرة عن الآخر، يسبقان ويؤدِّيان إلى تدهور الحبّ، بالمقابل إنتباهًا أمينًا يُوَلِّد أمانة القلب.

لنذهب في التحليل إلى أبعد. الحبّ الزوجيّ هو واقع مُعقَّد : مجموعة دوافع، تقريبًا مترابطة ومُتسلسلة. يجب صيانتها كلّها لتبقى حيّة، تحت طائلة انهيار أحدها، مما يؤدّي إلى انهيار الباقي منها. والآن ينطبق قانون المعرفة على كلّ واحد منها. من الخطورة على الزوج الشاب ألاّ يرى بعد الآن صفات زوجته الأخلاقيّة، وليس أقل خطورة ألا يتعجَّب بعد الآن من سحر وجهها أو يصبح غير منتبه لحنانها : رويدًا رويدًا، سوف تتلاشى هذه الدوافع المتنوّعة التي أثارتها في نفسه رؤية الصفات الأخلاقية، والجمال الجسدي، ولفتات الحنان لدى زوجته.

الأخطر أن يغرب عن بالكم **أنا** الآخر العميق. في الواقع، إنَّ اكتشاف ما في الإنسان من أصليّ وفريد ، هو الذي يؤسِّس الحبّ الزوجيّ الحقيقيّ. تذكَّروا ... ما الذي أيقظ فيكم، ودعاكم، انتصر عليكم، وجذب الأنا الحميمة خاصتكم، إن لم تكن رؤية "الوجه الداخلي" لهذا الإنسان الذي قابلتموه في طريقكم. دون شك، لا بدّ أنَّكم تأثرتم بصفاته الظاهرة، لكنّها ما كانت كافية لتوقظ نوعيّة حبّ معيّنة، لو لم تكتشفوا فيه جمالاً غامضًا. لكن تفقد النظرة بسهولة هذه العطيّة العجائبيّة " النظرة المزدوجة" ! الأهمّ من كلّ ذلك، لا تستسلموا، إستمروا في المضيّ قدمًا وانطلقوا باستمرار لاكتشاف الآخر.

إذا ما نظر الزوج والزوجة أحدهما إلى الآخر، كلّ يوم، بنظرة جديدة، لن يخفق حبّهما بأن يصبح دائمًا أكثر شبابًا وحياة. لو كانا يعرفان أنّهما من أبناء الله، عندها فقط ستحاول نظرة كلّ واحد منهما أن ترى في الآخر جمالاً مختلفًا، وجه إبن الله. لا تنادوا بالتصوّف : فالمسيحيّ الذي يتمتّع بنظرة إيمانيّة راقية، يتعلَّم أن يرى الكائنات بشفافيّة. كما لو أنَّ المسيح ينقل إليه نظرته،

هذه النظرة التي ذكرها القديس مرقس في فصل الشاب الغنيّ : *" فنظر إليه يسوع وأحبّه"*. إنّه بينكم، أنا متأكِّد ، ذاك الذي هو حاضر ليشهد بأنَّ حبّهما قد تحوَّل منذ اليوم الذي نظر فيه كلّ واحد إلى شريكه بهذه الطريقة.

لكن من البديهيّ، أنّ ينجح فقط الأزواج، الذين يتمرّسون في أن يُعَرِّف كلّ واحد شريكه على ذاته، في أن يتعرّف أحدهما على الآخر بعمق. إنَّ توصيل عالم أفكار الإنسان ومشاعره وشخصيته الحميمة، لا يتمّ بدون صعوبة. تقف ميول كثيرة في مواجهة هذا الإنفتاح : الحشمة، الخجل وجشع القلب. الأخطر بينها، هو الإغراء الخبيث بإنزال الستار الحديديّ، ردًّا على فظاظة أو إهانة، حقيقيَّة أو خياليَّة.

يجب رفض هذه الميول وهذه الإغراءات، مهما كلَّف الأمر. كيف سينطلق الآخر لملاقاتنا إذا كنّا، لدى رؤيته نخفي المزايا التي يمكن أن تفتنه، والأحزان التي تثير شفقته العطوفة؟ صديق لم يسامحني يومًا لأنّي وُلدتُ في ليون، جاءني ذات يوم بتعريف مزعوم عن الشخص من مدينة ليون: *"أصبحنا نفترض أنّه مليء بالعطر، لكن بالتخلّي عن فكرة فتحه !"* إذا أردنا أن نحظى بالتقدير والمحبَّة، علينا أن نعرف كيف ...نفتح السدادة.

لكنَّ الأغابي تتطلّب المزيد : أن تسمحوا لشريككم بالدخول إلى حميميتكم مع الله، على مثال المسيح الذي سمح لتلاميذه بأن يكونوا شهودًا على حديثه وجهًا لوجه مع الآب، وذلك قبل مغادرته العشاء في العليَّة، ليتوجَّه إلى بستان الزيتون، صلّى أمامهم صلاته الكهنوتيّة العظيمة. صليا بصوت مسموع، زوج و زوجة، جنبًا إلى جنب، تحدَّثا بانتظام عن حياتكما الداخليَّة، تشاركا باكتشافاتكما في ما يخص الإيمان، أليس هذا شرطًا أساسيًا لتتوصلا إلى أن يتعرَّف أحدكما على الآخر، نوعًا ما كما يعرفكما الله؟ (...)

تولّي مسؤولية الآخر وجعله يتولى مسؤوليتك

هذا القانون الثاني يُكمل الأوّل. هذا الكائن الذي، عرفتم مزاياه بالحدس، قيمته الفريدة وأيضًا قدراته، وكلّ إمكانياته في الخير والسعادة، كيف لا تشعرون بهذه الرغبة القويّة لتعزيز كامل ازدهاره ؟ على عكس ما يُعتقد عادة، فأنا مقتنع أنَّ أوَّل حركة تجاه الآخر، بالنسبة لقلب كريم النسب – إذا كان هذا الحبّ مبنيًا على اكتشاف هذه الأنا العميقة في الآخر – هي حركة احترام خالص، وتقدمة الذات، ورغبة حارّة ومُترفِّعة، في ازدهار هذا الآخر. لقد اختبرتم هذا، أنا متأكَّد، صحيح أنَّ حركة ثانية، تظهر تقريبًا على الفور، لأنَّه يظهر لكم أنّ حبّ هذا الكائن يخبىء فرحًا ومنفعة لكم أنتم. المسألة كلّها تقضي بأن تعرفوا ما إذا كنتم تعملون لخيره قبل

العمل لخيركم، أو العكس – إذا كان الحال هكذا، لن يدوم الحبّ الحقيقيّ " إلاّ لفترة صباح واحد" .

إنَّ إرادة الخير من أجل الآخر، هي روح كلّ حبّ حقيقي. تتطلَّب منكم أن تُميتوا في داخلكم هذه الغريزة بالمطالبة والإستئثار، وتترجموا هذا الأمر يوميًا في تصرّفاتكم.

أحيانًا أن نريد خير الشخص المحبوب، يستوجب منّا أن نرفض ما قد يسيء إلى فرحه. الأمر ليس دائمًا بهذه السهولة. هناك أوقات يكون فيها الحبّ القبول بالتسبب بالألم.

لكن بالنسبة لأبناء الله، لا يتعلَّق الأمر فقط بتعزيز خير الآخر وفرحه البشريّ، بل أن يعرف كلّ واحد نفسه ويريد أن يكون مسؤولاً عن إزدهار الشخص الذي يحبّه، بنعمة الربّ. إنَّ بلوغ حميميّة دائمًا أقرب مع الربّ، هو أعزّ طموح نحمله في قلبنا. ليس من المستحيل أن نشعر بين الحين والآخر، بوخزة صغيرة في القلب حين نرى تأثير المسيح يكبر فيه، لكنّنا نعلم جيدًا أنَّ الربّ لا يصادر القلوب التي تستسلم له.

أن يأخذ كلّ واحد الآخر على عاتقه بالتناوب، ويحمل مسؤولية ازدهاره ، يعني بالمقابل أنّ يوافق كلّ واحد على الإعتراف بأنَّه يحتاج إلى الآخر. بالتأكيد، من السهل اللجوء إلى هذا الآخر من أجل خدمات عاديَّة، ورضى سطحي، لكن أن نقبل أننا بحاجة إليه في العمق، ونبوح له بفقرنا، ضعفنا وجهلنا، حتى يتمكَّن من مساعدتنا، ليس بالأمر السهل أبدًا. ومع ذلك، فهو شرط لا يمكن تجاوزه من شروط الحبّ. فضلاً عن ذلك، ألم تلاحظوا أنَّ أفضل طريقة لتعزيز التقدَّم الأخلاقي للإنسان في كثير من الأحيان هي أن نحتاج إليه، وأن نحفِّز حبّه وجوده من خلال الطلب إليه.

يعتمد المسيحيّ على مجهود شريكه ليتخلَّص من تصرّفات ومشاعر" الأنسان القديم"، ويكتسب مشاعر وتصرّفات إبن حقيقيّ لله. لا يتعلّق الأمر بأن ننتظر من الشريك أن يكون مديرًا روحيًا، بالمعنى الدقيق للكلمة، لكنّه لا يملك قدرات الكاهن، لديه قدرات أخرى، وبالتحديد ليساعد رفيق دربه لينمو بالمحبَّة. بالتأكيد، هناك أشخاص بينكم، كانت فرحتهم كبيرة لدرجة أنَّهم أدركوا أن عادة اللجوء بتواضع إلى مساعدة الشريك الروحيّة، وطلب عونه ودعمه، كانت في النهاية أفضل وسيلة لمساعدته هو نفسه في تقدّمه الروحيّ. لأنّه شعر، حتى لا يخيّب الثقة التي وُضِعَت فيه، أنَّ عليه أن يكون دائمًا أكثر اتحادًا بالله. لماذا لا ينجح إلاَّ عدد قليل من الأزواج بالوصول إلى قمّة هذه المحبَّة الزوجيَّة التي هي التعاون الروحي؟ هل كانوا يشكّون بأنَّ متطلِّبات الوصيَّة الجديدة ستصل إلى هذا الحدّ؟

خلاصة

يتساءل الأب هنري كافاريل، كيف سيحبّ أحدنا الآخر بالحبّ الذي يحمله لنا المسيح، لأنَّنا مدعوون إلى هذا الحبّ المُتطلِّب، وبما أنَّه مستحيل أن نحبّ كلّ إخوتنا كما أحبّنا المسيح، علينا أن نقوم بمجهود كبير في محيطنا الأقرب، بدءًا بشريكنا. لهذا يقترح علينا الإنطلاق من ثلاثة جوانب أساسيَّة للحبّ الزوجي : التعرّف على الآخر وجعله يعرفنا (الفصل السادس)، نأخذ الآخر على عاتقنا وندعه يأخذنا على عاتقه (الفصل السادس)، نعطي ونستقبل (الفصل السابع).

أن يعرف أحدنا الآخر: لا يتعلَّق الأمر بمعرفة سطحيَّة فقط، مع أن هذه مهمَّة (الجمال، الجاذبيَّة، الإعجاب...)، بل أن نكون مُتنبِّهين إلى الأنا العميقة، لأنَّ أساس كلّ حبّ زوجيّ حقيقيّ هو اكتشاف الشخص في ما يملك من أصيل وفريد. لهذا، إنّه لأمر أساسيّ أن نوقظ على الدوام وعينا لما وصفناه في الفصل الأوّل : إيقاظ نظرة الحبّ.

لهذا يجب أن نعطي الآخر فرصة معرفتنا في حميميتنا مع الله، كما كان يسوع يدع الناس ينظرون كيف كان يتَّحد بالآب بالصلاة. فالصلاة الزوجيَّة هي آداتنا لتعميق هذه المعرفة أكثر.

إعتناء الواحد بالآخر: اختبرنا جميعًا في وقت من الأوقات من علاقتنا الرغبة بمساعدة الآخر، بأن نقوده إلى أقصى طاقته. البحث عن خير الآخر هو روح كلّ حبّ حقيقيّ. وهذا الأمر صعب لأنّه أحيانًا يسبب الألم للشخص المحبوب. يجب أن نقبله. يذهب الأب هنري كافاريل إلى أبعد من الإعتناء بالآخر في الحياة اليوميَّة، ويبحث عن اعتناء وتقدّم على الصعيد الروحيّ. لهذا السبب، يقترح علينا أن نعترف ونُظهر لشريكنا حاجتنا العميقة إليه. يمكن أن يكون هذا آداة فعَّالة لتحفيز حبّه وجوده.

واجب المجالسة

لتحضير واجب المجالسة

لا نجيد تقدير الذي أو التي، هم الأقرب إلينا. ليس هناك من فسحة كافية. لا نُدرك أننا نتقاسم الحياة الواقعيَّة، لكن يمكننا أن نحتفظ بالتوازي بأحلام في الخفاء. لا يمكننا أن نكون على يقين تمامًا من قلب الآخر. هذا القلب الذي لا يمكننا أن نمتلكه ولا أن نعرفه بكليّته، إلا إذا أراد الآخر أن يكشفه لنا. نرى أنفسنا عند هذا المُنعطف من الحياة، بحيث نكون ما زلنا في مقتبل العمر، لكن ليس كثيرًا، ونبدأ بالتفكير بالوقت المُتبقي لنا. عندها يمكننا أن نطرح التساؤلات "ماذا لو": *"ماذا لو تزوّجت هذا الحبّ الأوّل الذي لم أنساه تمامًا"، "وماذا لو رأيت مرةّ ثانية هذا الشخص الذي بدا أنّه يتفهّمني أكثر"، أو " وماذا لو كان الإيمان سرابًا ليطمئنني..."*. كلّ تلك " ماذا لو"

تضعنا أمام مفترق طرق يقلب كياننا. يجب أن نختار من جديد. يمكننا حتى أن نرتاب حول هذا الوثاق الذي حصلنا عليه من زواجنا، وذلك بالبدء بتبرير أنفسنا بفكرة أننا كنَّا صغار في السن. في حين أنّه على العكس، يجب أن نعيش من جديد ذكرى اليقين، الذي يجعل منه كرم الشباب أمر مُحقق والبقاء أوفياء له إلى أبعد من أيّة حدود، وأيّة تغييرات في الحياة.

إقتراحات أسئلة لواجب المجالسة

١- الأغابي الزوجيّة، الحبّ والأغابي.

يتعلَّق الأمر بأن نحبّ كما أحبّنا المسيح، أن نحبّ باندفاع الحبّ المُترفّع هذا، المُوَجَّه كليًا نحو خير شريكنا.

" أحبّوا بعضكم بعضًا كما أنا أحببتكم !" ماذا ستفعلان، أيّها الزوج وأيّتها الزوجة، لتجيبا على تطلّب المسيح هذا، لبلوغ هذا الحبّ وللعمل على نموّه، ولبلوغ هذه الأغابي الزوجيّة؟

٢- التعرّف على الآخر وجعله يعرفنا.

هل ينظر كلّ واحد منّا إلى الآخر بنظرة جديدة؟ هل نندهش كلّ يوم بجمال وجه شريكنا، بمزاياه الأخلاقيّة، لكن خاصة بالأنا الأعمق خاصته؟

هل أنَّ كلّ واحد منّا مُنفتح بشكل كافٍ على الآخر ليكشف له عن أفكاره، مشاعره، وعن الأنا الحميميّة خاصته؟ فلنقدّم أمثلة واقعيّة عمّا ورد سابقاً، وأيضًا عن أمور لم نكشفها للشريك وكان يمكن كشفها (أحيانًا يجب اختيار الوقت المناسب لقول بعض الأمور المحدَّدة ...)؟ كيف يمكننا معالجة الأمر؟

٣- *" لكن الأغابي تتطلَّب أكثر من هذا : أن تسمحوا لشريككم بالولوج إلى حميميتكم مع الله ..."*

كيف نتشارك عن حميميتنا مع الله؟ كيف نعيش التعاون الروحي المتبادل؟ ما هي الحركات، والأفعال الواقعيّة التي نضعها مكانها لنساعد الآخر في النموّ بالإيمان؟ هل فكّرنا باللجوء إلى مرافق روحيّ شخصي – لكلّ واحد منا مرافق خاص به؟ ما الذي يعيق تحقيق هذا الأمر؟ إذا ما التجأتم إليه، ما هي المنافع التي تعود على نوعيّة حبّكم الزوجيّ؟ لنشكر الربّ.

٤- نأخذ الآخر على عاتقنا وندعه يأخذنا على عاتقه.

يتعلَّق الأمر هنا بأن نأخذ على عاتقنا إزدهار شريكنا الكامل. *"أن يأخذ كلّ واحد الآخر على عاتقه، أن يقيم كلّ واحد نفسه مسؤولاً عن إزدهار الآخر، يفرض أن يقبل كلّ واحد أن يعترف أنّه بحاجة للآخر."*

حول أيّة فكرة من هذا التأكيد للأب هنري كافاريل، تحبون أن تتناقشوا؟ هل نكشف عن خفايا قلبنا، بشكل كافٍ لشريكنا؟ بماذا يمكننا أن نتشارك بعد لنحبّ بهذا الحبّ الذي يتطابق مع الحبّ الذي أحبّنا به المسيح؟

٥- قدَّم لنا الله هديّة رائعة حين أعطانا شريكنا لنحبّه. أن نحبّ كما يطلب منّا المسيح، يعني أن نريد سعادة الآخر. أن نغرف هذا الحبّ من قلب الله بالذات.

تناقشا حول ما يفكّر به ويعيشه، كلّ واحد منكما، من تطلّب الحبّ هذا؟

"المسألة كلّها تقضي بأن تعرفوا ما إذا كنتم تعملون لخيره قبل العمل لخيركم، أو العكس".

في أيَّة أوقات يصعب عليكما هذا الأمر؟ هل تعرفان السبب؟ كيف يمكنكما معالجة الأمر؟ هل نجيد الإحتفاظ ببعض الوقت لأنفسنا، لزرع حديقتنا السريّة الخاصة بنا؟

الإرادة بسعادة الآخر تقتضي أحيانًا أن يقول أحدنا للآخر بعض الأمور، وهذا يمكن أن يؤدّي إلى خلافات، تسمح بأن نحبّ بشكل أفضل على إثرها. كيف ننجح بهذا؟

اجتماع الفرقة

الإصغاء إلى كلمة الله (رو ١٢، ٩-٢١)

ولتكن المحبّة صادقة. تجنّبوا الشرّ وتمسَّكوا بالخير. وأحبّوا بعضكم بعضًا كإخوة، مُفضّلين بعضكم على بعض في الكرامة، غير متكاسلين في الإجتهاد، مُتَّقدين في الروح، عاملين للربّ. كونوا فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة. ساعدوا الإخوة القدِّسين في حاجاتهم، وداوموا على ضيافة الغرباء.

باركوا مَضطهديكم، باركوا ولا تلعنوا. إفرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين. كونوا مُتّفقين، لا تتكبَّروا بل اتضعوا، لا تحسبوا أنفسكم حكماء.

لا تجازوا أحدًا شرًا بشر، واجتهدوا أن تعملوا الخير أمام جميع الناس. سالموا جميع الناس إن أمكن، على قدر طاقتكم. لا تنتقموا لأنفسكم أيّها الأحبّاء، بل دعوا هذا لغضب الله. فالكتاب يقول:" لي الإنتقام، يقول الربُّ، وأنا الذي يجازي". ولكن : "إذا جاع عدوَّك فاطعمه، وإذا عطش فاسقه، لأنّك في عملك هذا تجمع على رأسه جمر نارٍ". لا تدع الشر يغلبك، بل اغلب الشر بالخير.

لتحضير الإجتماع : اقتراحات أسئلة

١- ماذا اكتشفنا لدى قراءتنا هذه النصوص للأب هنري كافاريل؟ بماذا نريد أن نتشارك مع الفرقة، من الأفكار التي طرحناها في واجب المجالسة؟

٢- ما الذي يُحفِّزنا في الفرقة لنحبّ بحبّ مُعطى دائمًا إلى الشريك وإلى الله؟

٣- هل نتشارك بسهولة مع شريكنا حول علاقتنا بالله، وحول حياتنا الروحيّة؟ كيف نتصرَّف؟ كيف يُحسِّن هذا التعاون الروحيّ نوعيَّة حبّنا الزوجي؟

٤- لنعيش أغابي بهذا المستوى، نحتاج إلى معونة ربّنا. أن نتجرّأ ونطلب معونته. هل تُعتبر الصلاة القلبية نقطة جهد، استطاعت شيئًا فشيئًا أن تأخذ مكانها في حياتنا اليوميّة؟ أما زال الأمر صعبًا؟ كيف يساعد أحدنا الآخر؟ كيف تساعدنا الفرقة في هذا الموضوع؟

السؤال نفسه يُطرَح بشأن الصلاة الزوجيّة، التي يمكن أن تكون المكان حيث نضع حبّنا بين يديّ الله، أفراحنا وصعوباتنا لنحبّ كما هو أحبَّنا.

الفصل السابع

الشراكة الزوجيَّة

نعطي ونستقبل

هذا الكائن الذي تحبونه، تريدون بشغف أن يحقق ذاته، أن يكتسب كلّ الكمال الممكن، أن يعيش دائمًا حياة بملئها. لكن ما دمتم تكتفون بتقديم إخلاصكم له، ولا تتشاركون معه إلاّ خيراتكم الماديَّة والأخلاقيَّة، سيبقى محرومًا ممّا هو الأكثر ضرورة بالنسبة إليه، يعني من عطيَّة ذاتكم. هو أيضًا يمكنه أن يقول لكم :"*ليست الخيرات ولا الخدمات التي أريدها بل أريدك أنت وليس شيئًا منك فقط*". أن نحبّ يعني أبعد من أن نعطي، أن نعطي ذواتنا، أن لا نعود نملك ذواتنا من أجل الآخر، أن نتخلّى عن امتلاك ذواتنا، ونقبل بفرح بالتبعيَّة. الذي يقول حبّ يقول هجرة وانخطاف. هجرة : يعني ترك الأب والأم، البيت والممتلكات، وأخيرًا ترك الذات للذهاب إلى هذه الجزيرة النائية التي هي الآخر. الإنخطاف : يعني أن نختفي عن الأنظار، أن نخرج من ذواتنا، ونكون حاضرين من أجل الآخر، أن نعطي ذواتنا. كان شاب فتيّ من الكشافة يقول: "أن نحبّ يعني أن نُخيّم في قلب الآخر".

هل يمكن القول بأنَّ مبادرات الحبّ المتواضعة، والإلتفاتات الصغيرة هي أمور غير ضروريّة وسخيفة؟ هذا يعني عدم الإعتراف بحالتنا الجسديَّة وقوانين التواصل بين الكائنات البشريَّة. إنَّ باقة البنفسج، المُقدَّمة يوم عيد مولد، هي أمر باهظ الثمن، لأنّه بالنسبة للذي يتلقاها، هي الظاهر لعطاء الذات العميق من قِبَل الذي يقدِّمها. يجب على الحياة الزوجيّة كلّها أن تُحَمَّل بالمعاني. المساكنة، العلاقات الجنسيَّة ومبادرات الحنان، تخسر كلّها قيمتها إذا ما كانت مجرّدة من الروح، وإذا لم تكن علامات تدلّ على عطاء متبادل وعميق.

لكنّي أتكلَّم كما لو أنَّ التواصل بين الأزواج لديه قيمة العلامات فقط. ليس فقط أنَّ لديه القدرة على التعبير عن عطاء الذات بل أيضًا القدرة على تجديده وتعميقه. في الحبّ كما في الدين، الطقوس والعلامات هي ضروريَّة، لأنَّها فعَّالة لتفعيل وتنشيط تقوى الروح.

على مستوى الأغابي، أن نحبّ يعني أن نعطي ذاتنا، أن نسلِّم "الأنا" العميق، لكنّه "أنا" مُجدَّد، مخلوق من جديد، أغنى بسبب الأغابي، جدير بعد الآن بأن يحبّ "كما" يحبّ المسيح، حتى بذل الذات. الأفضل، هو أن نترك ممرًا في ذاتنا لحبّ الله:

"أريد أن أتعلَّم مع الله أن لا أحتفظ بشيء، أن أكون هذا الشيء الطيّب والمُعطى الذي لا يحتفظ بشيء، والذي يأخذون منه كلّ شيء!

خذ رودريغ، خذ قلبي، خذ حبّي، خذ هذا الإله الذي يملأني!

القوّة التي أحبّك بها، لا تختلف عن القوة التي بها توجَد.

أنا مُتَّحِد إلى الأبد بهذا الشيء الذي يعطيك الحياة الأبديَّة!"[18]

يجب أن يكون كلّ واحد من الزوجين قادرًا على أن يقول للآخر، بالتوافق مع عبارة القديس بولس: أحبّك، لكن لست أنا من يحبّك، إنّه المسيح الذي يحبّك فيّ، هو الذي يعطي ذاته بواسطتي. (غلا٢،٢٠)

كما تعود الكرة التي تُرمى إلى الحائط، إلى اللاعب، كذلك يعود العطاء إلى الذي قام به، إذا لم يُستقبل. إن التبادليَّة في العطاء تقتضي التبادليَّة في الإستقبال. لن أخرج أبدًا من ذاتي إذا لم يكن هناك من يستقبلني.

يبدو أنّ عبارة " استقبال" تحمل نوعًا من الجمود. لا تُخطئوا في هذا الأمر، الإستقبال، في الحبّ، هو سلوك فعَّال للغاية. هو أن نكون دائمًا حاضرين لاستقبال سرّ، إعتراف، عطيّة، شهادة حبّ – باحترام، بذكاء، بامتنان. يعني قبول الآخر، لا كما نتمنّى أن يكون بل كما هو، بنقائصه كما بصفاته الحسنة، بخطيئته كما بلطافته. " تعلَّمت أن أحبّك لما أنت عليه، لستَ بحاجة بعد الآن أن تكون شخصًا آخر حتى أحبّك".

لكن إفهموا جيدًا ما أقول: تستقبل المحبوب، ليس فقط عندك أو بالقرب منك، بل في أعمق أعماق كيانك الروحي. كتب لي صديق: " تصبح بريجيت أكثر فأكثر قريبة من أعماقي"، فهمت من هذه الكلمات أنَّ حبَّه كان يتطوَّر.

حتى لو بدا هذا متناقضًا، أقول أنَّ الإستقبال يسبق العطاء، بمعنى أن يشعر الآخر دائمًا بأنَّه مُنتظر ومرغوب به. الإستقبال هو أولاً نهم، نهم للحبّ، لكن لا يجب أن يتماهى هذا المعنى مع الجشع الأنانيّ. نهمٌ يُظهرُ للمحبوب أننا بحاجة إليه لنكون سعداء، وبأنّه جدير بأن يجعلنا سعداء- إختبار أعتقد بأنّه ضروريّ، لا يُستَبدَل، ليوقظ في قلب الإنسان العصب الأكثر سريَّة.

قيل عن الأغابي بأنَّها عطاء صرف، ومُترفع بشكل دقيق. أجل، في الله، ولدى الآب الذي منه تنبع، هي كمال مُتدفق. بالمقابل، لدى الإبن، الحبّ هو أولاً استقبال عطيّة الآب، وهذا الأمر

[18] Paul CLAUDEL, Le Soulier de Satin en Theatre II, La pleiade, Gallimard, 1965,p 858

ينطبق على أبناء الله. كذلك أن نرى في الشريك " سرًا حيًا" من الربّ، أن ننتظر منه بنهم عطاء الله ونبادر لاستقباله، كمٌّ من المواقف الروحيَّة الأساسيَّة تفرضها الأغابي.

تفوّق الأغابي

هل تلوموني لأني خصَّصت وقتًا طويلاً لسيكولوجيّة الحبّ الزوجي؟ لا أعتقد أنّي أستحق اللوم، لأنّي مقتنع تمامًا بأنّه إذا ما لعبَ الأزواج لعبة الحبّ البشريّ، بأمانة، بشكل يوميّ، وبمثابرة، سوف يسمحون للأغابي بأن تكبر وتتسلَّل إلى كيانهم كلّه، وحياتهم كلّها، ليجعلوا منها تقدمة مرضيَّة لله. ألا نتلاقى بهذا مع التعليم الأكثر صدقًا عن الزواج المسيحيّ : تستخدم نعمة سرّ الزواج لتنتشر، كلّ نشاطات الحياة الزوجيَّة. هؤلاء الناس يبدون لي مثيري الشبهات، الذين بحجة أنّه أمر يفوق الطبيعة، يبدأون بإهمال قوانين الحبّ البشريّ المتطلّبة. (...)

صحيح أنَّ الحبّ البشريّ يحقق وحدة الحياة، وهذا الأمر ينطبق أكثر على الأغابي. كونها حبّ الله، ترتِّب، تنظِّم، توحِّد الميول، الطموحات، الإرادة، وفضائل الشريكين، وكلّ نشاطاتهما المختلفة، العائليَّة، المهنيَّة، الإجتماعيَّة والدينيَّة، وتوجِّهها إلى غايتها الحقيقيَّة : مجد الربّ. كونها حبّ الشريك، تضطلع، تدمج، توحِّد في حزمة واحدة، واندفاع واحد، كلّ مكوّنات الحبّ الزوجيّ : انجذاب واندفاع جسديّ، جودٌ، إمتنان، أمانة... تطوّعها كلّها لخدمتها وتنقل إليها إندفاعها، من جهّة أخرى، دون أن تشفيها، تنقّيها، ترفعها، تبث فيها نقاوتها، حماستها وقداستها.

بين إبنيّ الله هذين، اللذين يتمرَّسا على عيش الوصيَّة الجديدة، يطرأ تغيير رائع على حياتهما الزوجيَّة. ونقول أنَّ بعض الأزواج يخشون، من أجل كمال حبّهم الزوجيّ، تدخّل الأغابي!

هكذا نُلْخِّصَ المثل الأعلى الذي يطمح إليه الأزواج المسيحيون بدافع من الأغابي. مرَّة جديدة، أخشى أنَّ يتَّهمني البعض بأنّني خياليّ لا أصفح عن خطأ. هل يريد أو لا يريد الأزواج المسيحيون أن يفهموا إتّحادهم على ضوء تعاليم المسيح؟ أن يدخلوا بالعمق في لعبة ذاك الذي أتى ليقوم " بكلّ شيء جديد"؟ هل يكفي أن نقدِّم للمسيحيين دروسًا في علم النفس الزواجي مع إضافة بعض الأخلاقيات المسيحيَّة؟ من جهتي، أرفض هذا الأمر، لايبدو لي شيئًا أخطر من أنصاف الحقائق التي تشعرنا براحة البال، وتعفينا نهائيًا من كلّ مجهود روحي. إذا كان اعتبار المثل الأعلى يثبط عزيمتهم، ألا يعني هذا أنّهم يرفضون أن يدانوا من قِبله؟ كما تدينني أنا، الكاهن، قداسة خوري آرس. لكن إذا قبلنا بهذه الإدانة، يصبح المثال الأعلى قوّة تجذب.

الشراكة الزوجيَّة

يتوق الحبّ الزوجيّ، كما رأينا، إلى التبادليَّة، لكن هذه التبادليَّة في المعرفة، في تحمّل المسؤوليَّة وفي العطاء، ليست العبارة النهائيَّة التي تتطلَّع إليها دينامية الحبّ. أبعد من التبادل بالحديث، من المشاركة الحياتيّة، من العطاء المتبادل، هناك الشراكة. تذكّروا مخطَّطنا : علاقة، حبّ، شراكة. على جميع الأصعدة، الحبّ الزوجيّ هو الذي يُمثِّل الشراكة : على الصعيد الجسديّ كما العاطفيّ، على صعيد الحياة الفكريَّة كما الحياة الأخلاقيّة. كثيرون يُخطئون بشأن طبيعة هذه الشراكة. يجدون فيها السلبيَّة والرضًا: الحبّ الذي يرتاح في رغبة الإمتلاك المتبادل، والتمسك السلبي بمثال مشترك. إنّها شيء مختلف تمامًا، نشاط مشترك وحياة مُتَّقدة.

شراكة القدِّيسين

تطمح الأغابي الزوجيَّة، هي أيضًا، إلى الشراكة الخاصة بها، بتعبير آخرالأكثر حميميَّة، الأقوى والأغنى. توحِّد الأغابي الأزواج على مستوى الأنا المسيحي خاصتهم، تجعل منهم " قلبًا واحدًا وروحًا واحدة"، كما قيل في التلاميذ الأوَّلين (أع ٤، ٣٢). بعيدة كلّ البعد عن السلبيَّة، هذه الشراكة بالأغابي هي نشاط واسع، مُشتركة، تعاون، مساهمة اثنين في نفس الفعل الحيويّ، ألا وهو معرفة ومحبّة الله، بدفع من الروح القدس الذي يسكن في الأزواج. يتحقق وعد القديس يوحنا من أجلهم :" من ثبت في المحبَّة ثبت في الله وثبت الله فيه ... ونحن نعرف أنَّنا نثبت في الله وأنَّ الله يثبت فينا : بأنَّه وهب لنا من روحه". (١ يو ٤، ١٣- ١٥) " وهذا الروح يشهد مع أرواحنا، وبه نصرخ إلى الله :" أبَّا، أيّها الآب". (رو ٨، ١٥- ١٦).

شراكة كهذه، لا تُتحقق هكذا في يوم من الأيام كأعجوبة، بل تُبنى شيئًا فشيئًا بتأثير الأغابي الزوجيَّة المُتعدِّدة الأشكال، بحيث تكون تحفتها. إذا كان صحيحًا أنَّ كلّ تقدّم في الحبّ المتبادل يقوّيها أكثر، يجب أن تكون مُتابَعَة بشكل مباشر. هناك أساليب وطرق كثيرة لتحقيق هذا الأمر: بالبحث، زوج وزوجة معًا، عن معرفة الله عبر القراءة والتأمّل بكلمة الله، بالمشاركة بالأفكار والمشاعر الدينيّة، بتكريس نفسيهما معًا لأعمال الربّ: تربية الأولاد، استقبال الآخرين، وخدمة الكنيسة، وأيضًا وقبل كلّ شيء آخر، بعبادة الله وتمجيده، بشكره وحبّه معًا.

إذًا أحيانًا، بعد أن كان الزوجان أمينان لمدّة طويلة " لهذه الشركة الأخويّة" (أع ٢، ٤٢)، يقومان باختبار رائع : يُدركان أنَّ الروح القدس ذاته، يفيض في داخلهما معًا النور ذاته، والحبّ ذاته، الصلاة ذاتها، والفرح ذاته. تصبح الآية في إنجيل يوحنا فجأة واضحة : " عرفنا واختبرنا، أنّنا عبرنا من الموت إلى الحياة، لأنّ أحدنا يحب الآخر". لأنّهما يحبّ أحدهما الآخر، تدفَّقت **الحياة** بينهما وفي كلّ واحد منهما.

للتحدّث عن هذه الشراكة التي تحققها الأغابي، يستعمل القديس توما تعابيرًا رائعة *:" إنّها مشاركة في خيرات الحياة الأبديَّة"، " مشاركة في فرح الربّ"*.

لتحديد هذه الشراكة التي حققتها الأغابي – بين اثنين أو ثلاثة من المسيحيين كما بين الجميع- لجأ مؤلِّفو النصوص المقدَّسة، لقد رأينا هذا، إلى التعبير koinonia أي المشاركة أو الأخوّة. ليست إلاّ " شراكة القدِّيسين" التي تعترفون بالإيمان بها عند تلاوة قانون الإيمان والتي يعتبرها العديد من المسيحيين بمثابة لا أدري أيّ "صندوق تعويضات"، إستحقاقات، في حين أنّها هذه الحقيقة الهائلة لاتحاد القلوب والنفوس، تحت تأثير المحبّة الحيّة، هذه الجماعة الروحيّة العظيمة التي يشكّلها كلّ أبناء الله معًا.

لكن هذه الشراكة ليست روحيّة وغير مرئيّة فحسب، بل هي موجودة أيضًا في الزمان والمكان، وهي مُتجسِّدة، من هذا الجانب، للإشارة إليها نلجأ إلى كلمة يونانيَّة أخرى، وهي ecclesia ، أي الكنيسة. هذه الكلمة تشير إلى الواقع ذاته الذي تشير إليه كلمة koinonia، في حين أنَّ هذه الأخيرة تؤكِّد على الجانب الداخلي وغير المرئي، تشير الكلمة الأخرى أكثر إلى الجانب الخارجي المؤسَّسي.

يستحق التعبيران أن يُحفظا حين نتكلّم عن زواج مبنيّ على سرّ الزواج وبه. لقد أظهرتُ لكم لتوّي، جماعة روحيّة تحرّكها الأغابي، إنها koinonia، جماعة قدّيسين مُصغَّرة، لكن هناك أيضًا ecclesia بيتيَّة، كنيسة صغيرة، خليَّة كنسيَّة مرئية، حيث تأخذ الـ koinonia شكلها، وحيث يصبح آنيًا ويُعاش سرّ الكنيسة الكبيرة، وكلّ هذا يصبح أكثر كمالاً كلّما كانت الأغابي حيّة أكثر. هذان التعبيران koinonia و ecclesia هما بمثابة نافذتين مفتوحتين على عمق سرّ الزواج المسيحيّ.

خلاصة

يتابع الأب هنري كافاريل في هذا الفصل توسيع حديثه عن الجوانب الثلاثة الأساسيَّة للحبّ الزوجيّ. بعد أن تحدَّث في الفصل السادس عن تعرّف الواحد على الآخر وعن الإعتناء المتبادل، يتطرَّق هنا إلى موضوع العطاء والإستقبال. على الأرجح، يظهر في هذا الفصل بشكل أوضح طبع الأب هنري كافاريل المُتطلِّب، لأنَّ هذا التصوّر عن الشراكة الزوجَّيَّة، يعتمد على مثال الحبّ الذي يحمله المسيح لكلّ واحد منَّا، كهدف نهائي لحبّنا الزوجيّ. لاشيء أقل من هذا.

أن نُحبّ، هو أبعد بكثير من أن يعطي الواحد ذاته للآخر. أن أحب (في هذا المستوى) يقتضي أن أُحرّر " الأنا" العميقة، المُحقَّقة بالحبّ الروحي (الأغابي)، للتوصلّ إلى أن أحبّ كما أحبَّنا المسيح، إلى حدّ بذل الذات. هذا يستتبع أن نترك مكانًا في داخلنا لمحبَّة الله. هذا الهدف الطموح، يمكن أن نقرأ عنه في الرسالة إلى أهل غلاطية :" أحبّك، لكن فما أنا أحبّك بعد، بل المسيح هو الذي يحبّك فيَّ، يعطي ذاته لك من خلالي أنا". (غلا ٢، ٢٠)

ويبدأ كلّ شيء بأن يعطي الواحد ذاته للآخر، ويستقبل أحدهما الآخر بشكل متبادل. الإستقبال يعني أن نقبل الآخر، لا كما نريده أن يكون ، بل كما هو، بحسناته وسيئاته. والعطاء الذي نقوم به تجاه الآخر، عليه أن يكون دون تحفّظ ودون مُقابل. في الأغابي، نجد هذه الميزة لحبّ الله الفائض و الأبديّ. يجب أن يكون هذا الحبّ مثالنا الأعلى. بالتأكيد هو مُتطلِّب وصعب، لكنّه مثال جميل وجذّاب، ولهذا السبب، عليه أن يكون مصدر تحفيز للزواج.

لا يكمن الهدف النهائي للحبّ الزوجي في تبادليّة العطاء أو الإستقبال فحسب، بل في شراكة على كلّ الأصعدة. يجب أن تُفهَم هذه الشراكة كنشاط مُشترك، وحياة مُشتركة مُلهَمَة من الروح القدس، تتخطّى ما هو أرضيّ وتقترب من الإلهيّ، كما نفهم شركة القديسين.

واجب المجالسة

لتحضير واجب المجالسة

أخيرًا استطعنا أن نعرف أنَّ هذه الرغبة بالمطلق، الساكنة في حبّ الواحد للآخر، والتي لم تُشبَع أبدًا بالكامل، هي نداء للإثنين معًا للبحث عن الله. إكتشفنا أيضًا أن هذه الشراكة الحميمة والعميقة، لا تُبعد الزوجين عن الآخرين، بل تفتحهما على العالم، وأنّ عطاء الشراكة هذا، ليس عهدًا بين اثنين مع المسيح فحسب، بل يدفعهما أيضًا باتجاه كلّ الذين يحيطون بهما، وينتظرون منهما إشارة مرئيّة، سرّ "حبّ" آخر، لا يمكن أن يتعرّفا إليه بطريقة مختلفة.

إقتراح أسئلة لواجب المجالسة

١- عطاء واستقبال.

دون شك، هذا يتطلّب الوقت، الذي سيعمل علينا المسيح أثناءه.

كيف نطبّق هذا عمليًا، كلّ يوم في حياتنا الزوجيَّة؟ ما هي مكوّنات عطاؤنا واستقبالنا للآخر، وجشعنا للحبّ؟ ما هي العقبات التي نصادفها؟ في الوقت الذي نعطي ذاتنا لشريكنا أو نستقبله، هل نعطي الله لشريكنا؟ وهل نستقبله بواسطة شريكنا؟ بأيَّة طريقة؟

٢- مبادرات الحبّ تشكّل علامة مرئيّة عن حبّنا لشريكنا. ما هي مبادرات الحبّ هذه، هذه الشعائر التي نمارسها فيما بيننا، التي وضعناها في مكانها والتي لديها القدرة على التعبير عن عطاء ذاتنا؟ هل نسيناها؟ كيف نجدِّدها؟ كيف تقرّبنا هذه المبادرات وهذه الشعائر من الله، وتقرِّب شريكنا من الله؟

٣- تفوّق الأغابي

بحسب الأب هنري كافاريل، الأغابي ترتِّب، تنظِّم، توجِّد الميول، الطموحات، الإرادة، وفضائل الشريكين، وكلّ نشاطاتهما المختلفة، العائليَّة، المهنيَّة، الإجتماعيَّة والدينيَّة، وتوجِّهها إلى غايتها الحقيقيَّة : مجد الربّ. تنقل الأغابي إلى الحبّ الزوجيّ إندفاعها، تقواها وعطشها إلى القداسة، وذلك لتشفيه. في أيّة ظروف أدركنا هذا الأمر؟ كيف نستمر بتفعيل حبّ يصبح شيئًا فشيئًا أغابي، أي يتطابق شيئًا فشيئًا مع محبّة الله؟

اجتماع الفرقة

الإصغاء لكلمة الله (١يو، ٣، ١٨- ٢٤)

يا أبنائي، لا تكن محبّتنا بالكلام أو باللسان بل بالعمل والحق. بهذا نعرف أننا من الحق فتطمئن قلوبنا أمام الله إذا وبّختنا قلوبنا، لأنَّ الله أعظم من قلوبنا، لأنَّ الله أعظم من قلوبنا وهو يعلمُ كلّ شيء. إذا كانت قلوبنا لا توبّخنا أيّها الاحبّاء، فلنا ثقة عند الله أن ننال منه كلّ ما نطلب لأنّنا نحفظ وصاياه ونعمل بما يرضيه. ووصيته هي أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، وأن يحبّ بعضنا بعضًا كما أوصانا. ومن عمل بوصايا الله ثبت في الله وثبت الله فيه. وإنّما نعرف أنّ الله ثابت فينا من الروح الذي وهبه لنا.

لتحضير الإجتماع : إقتراحات أسئلة

١- لنتشارك حول فهمنا للحبّ الأغابي وحول طريقة عيشنا له، أو أنَّنا ما زلنا نسعى بجهد لنعيش، يومًا بعد يوم و تدريجيًا حبّ الأغابي هذا؟

٢- الشراكة الزوجيَّة وشراكة القدّيسين.

في أيّة ظروف اختبرنا أن نكون *" قلبًا واحدًا وروحًا واحدة"؟* ما الذي يستطيع مساعدتنا، على الصعيد الشخصي وكزوجين، لتكبر معرفتنا بالله، وحبّنا له؟ هل نُدرك أنَّ مساهمتنا معًا بأعمال الله[19] تجعل حبّنا المتبادل يكبر وكذلك حبّنا لله؟ فلنعطي أمثلة على ذلك. هل جعلتنا هذه المواقف

[19] أعمال الله: تربية الأولاد، إستقبال الآخرين، وخدمة الكنيسة.

" نُدرك أنَّ الروح القدس ذاته يفيض فيهما النور ذاته، الحبّ ذاته، الصلاة ذاتها والفرح ذاته"؟
كيف نعيش الشراكة الزوجيّة في مختلف جوانب حياتنا؟

٣- بماذا تُلهمنا هذه الرؤية عن الزواج المسيحي التي قدَّمها الأب هنري كافاريل، أي في الوقت نفسه شراكة القديسين، وجماعة روحيّة تُحرّكها الأغابي والكنيسة البيتيّة، المكان حيث يصبح سرّ الكنيسة الكبيرة آنيًا ومُعاشًا؟

الفصل الثامن

شهادة حياة الزوجين

أعتقد أنّكم توافقوني الرأي لتقدِّروا بأنَّ هذا التحدّي الذي يفرضه الإلحاد على المسيحيين، يقتضي ردًا بشكل مُلِح : شهادتنا. مهما كانت ضعيفة معرفتنا ومحبّتنا لله، كيف لنا أن لا نجد تشويه وجهه الحقيقي وإذلاله، أمر غير مُحتَمَل. مهما كانت محبّتنا لإخوتنا ضعيفة، كيف نحتمل، أن يغرقوا في الغم، القلق والسخافة، كونهم يجهلون الله الحقيقي ؟ ومهما كان الحسّ بالتضامن البشريّ ضعيفًا لدينا، كيف لنا أن لا نشعر أننا مشاركون بمسؤوليّة خيانة الله من قِبَل المسيحيين؟

إنَّها مسؤوليَّة الكنيسة كلّها، الكشف عن وجه الله الحقيقي في زمننا، لكنّي أريد هذا المساء أن أُظهر لكم، أنّها بالتحديد مسؤوليَّة الأزواج. أستنتج ردّة فعلكم : المهمَّة كبيرة، كبيرة للغاية، ينقصنا الوقت والكفاءة. وإذا أجبتكم، لكنَّكم كفوئين بشكل خاص لتقوموا بهذه المهمَّة بالتحديد لأنّكم أزواج. لديكم هبة لدنيّة (كاريزما) خاصة بكم. على كلّ حال، لتكونوا هؤلاء الشهود الذين ينتظرهم العالم، لستم بحاجة لتتخلوا عن مهمّاتكم العائليّة والمهنيّة، لستم مضطرين للذهاب في حملة صليبيّة بعيدة. سأشرح فكرتي: فالعالم المُلحِد، ينتظر دون شك، من حبّكم الزوجي ومن عائلتكم، شهادة أساسيَّة. في مرحلة أولى، سوف أكلِّمكم عن الشهادة التي تقدّموها بعيش حياتكم، وفي مرحلة ثانيّة، عن شهادة الكلمة.

إسمحوا لي أن أعبِّر عن فكر الله حول الزوجين على طريقة بيغي Peguy، كاتب فرنسيّ، ربّما أصبح اليوم في طيّ النسيان. يقول الله:

" أيّها الزوجان المسيحيّان، أنتما فخري وأملي. حين خلقت السماء والأرض، وفي السماء نيّرات كبيرة، وجدت في مخلوقاتي آثارًا لكمالاتي ووجدت أنَ هذا حسن. حين غطّيت الأرض بمعطفها الكبير من الحقول والغابات، وجدتُ أنَّ هذا حسن، حين خلقت الحيوانات التي لا تُحصى بحسب نوعها، تأمّلت في هذه الكائنات الحيَّة العديدة، فكانت إنعكاسًا لفيض حياتي، ووجدت أنَّ هذا حسن! من كلّ مخلوقاتي كان يصعد نشيدًا فَرِحًا للإحتفال بمجديّ وبكمالاتي. ومع هذا، لم أرَ في أيّ مكان صورة ما هو حياتي الأكثر سريَّة، والأكثر ورعًا. عندها، استيقظت فيَّ الحاجة لإظهار أفضل ما في ذاتي، وكانت أجمل إبتكاراتي. هكذا خلقتكما أيّها الزوجان البشريّان، على صورتي كمثالي. ونظرتُ، هذه المرّة، ووجدتُ أنّ هذا حسن جدًا. في وسط هذا الكون، حيث كلّ مخلوق يُهجىء مجديّ، ويحتفل بكمالاتي، أخيرًا إنبثق الحبّ ليكشف عن حبّي. أيّها الزوجان البشريّان، مخلوقاي المحبوبان، شاهداي المميزان، هل تفهمان لماذا

أنتما الأعز على قلبي من بين كلّ المخلوقات؟ هل تدركان الآمال التي أبنيها عليكما؟ أنتما تحملان سمعتي ومجدي، أنتما بالنسبة إلى الكون، السبب العظيم للأمل، لأنّكما تجسِّدان الحبّ."

لننظرعن كثب إلى مهمّتكما كشاهدين لله. الطريقة الأولى لتقوما بهذه المهّمة، هي أن تعيشوا دائمًا حبّكما على أكمل وجه، ليُظهر كلّ إمكانياته، ليتجلَّى، أمينًا، سعيدًا وخصبًا. صحيح أنَّ هذا الأمر يتخطَّى إمكانياتكما الخاصة لوحدها. أدرك الرجل والمرأة مُبكِّرًا أنَّ الشرّ يعمل في البيت. يجب حتمًا اللجوء إلى نعمة المسيح مُخَلِّص الزوجين، وعلى الفور، يصبح إتِّحادكما شاهدًا ليس لله الخالق فحسب بل لله المُخلِّص أيضًا.

تؤدِّي أسرتكما الشهادة لله بطريقة جليّة أكثر، إذا كانت اتّحاد باحثَين عن الله بحسب تعبير المزامير الرائع. باحثان، عقلهما وقلبهما يتلهّفان لمعرفة وملاقاة الله، والإتّحاد به، لأنَّهما أدركا أنَّ الله يهمّهما أكثر من أيّ شيء آخر. كم شخص أعرفهم بينكم، هم باحثين حقيقيين عن الله؟

أسرة كهذه هي مكان للعبادة. ليس فقط بمعنى أنَّ الزوجين هم عابدَين بالروح والحق، فيربيّان أولادهما ليكونوا هم أيضًا عابدين، بل بمعنى أن هذا الإندفاع في العبادة يوجِّه القلوب وكلّ الأعمال طوال اليوم. الأسرة المسيحيَّة هي هذه الكنيسة المُصغَّرة التي تحدَّث عنها القديس يوحنا الذهبي الفم، وهذه الخليَّة الكنسيَّة التي حدّثنا عنها البابا بولس السادس. يمكن لكلّ أماكن العبادة الأخرى أن تُقفل، أن تتحوّل لغرض آخر، أن تُدَمَّر، كما في بعض المناطق في العالم، وحدها العائلة المسيحيَّة تبقى مسكن الله بين الناس.

ولأنَّ الله ساكن فيها، فهي المكان حيث يعمل الله، ويستمر بصنع "عجائبه" mirabilia، هذه الأعمال العظيمة التي يحدِّثنا عنها الكتاب المقدَّس. إنّها لقصّة مقدَّسة وجود أسرة مسيحيَّة، لأنَّها قصة يقودها الله. الذين يأتون طلبًا للإستضافة، إن أدركوا الأمر أم لم يدركوا، سيجدون فيها **"هذا الذي"** هو صاحب البيت. حيث يكون الحبّ والمحبَّة، يكون الله حاضر.

هناك علامات عديدة تساعد الزائر على اكتشاف الله الذي يعمل في الأسرة. هَمّ الفقر، المحبّة، الطريقة المألوفة للإشارة إلى الناحيّة الجيّدة من الناس ومن الأشياء، الحكم العفويّ الإنجيليّ على الأحداث، الإستقلاليّة حيال العالم، الأساليب الفكريّة وغيرها.

ليس هناك من خطر أن تصبح أسرة كهذه محجر أو معزَل، حيث ينعزلون في منأى عن أخطار العالم. هي بالأحرى مكان ننطلق منه لتلبية كلّ المهّات الإنسانيَّة. يُرسل الله، صديق البشر، أتقيائه بمهمّة، حين يستعيدون قواهم في الحبّ المتبادل، الصلاة والراحة. إذًا ليس هناك ما يدعو إلى الدهشة أن يكون بين الناس، الأزواج المسيحيون شهودًا لله الحيّ. أريد أن أقدّم

كإثبات على هذا الأمر، هذه الأفكار لإمرأة علميّة مُلحدة نقلتها إلى صديقة كاثوليكيَّة :" بالنسبة إليكم، الله حيّ كما زوجك أو أولادك هم أحياء، حججي عن الله سخيفة بنظرك، كما لو كنت أحاول أن أبرهن لك أنَّ زوجك لا وجود له".

ستقولون لي، أنَّ هذه الصورة عن الزوجين المسيحيين تفترض أن المشكلة قد حُلَّت، يعني أنَّنا قدّيسين. لا ليس هذا : لم أتحدّث عن القداسة، بل عن البحث عن الله، تقديم المجد لله، واللجوء إلى الله لتخطي، التجارب والمعوقات في الحياة الزوجيَّة والعائليَّة، يوميًا. التوبة، التي هي الإعتراف المتواضع بخطيئتنا، بعدم أمانتنا المتكرّرة نحو الله، تقدِّم الآن شهادة لله، وتكشف عن قداسته. أذكر في الواقع، كلام دبلوماسي من بلد في أميركا اللاتينيّة، بعد إقامته في بيت أسرة من فرق السيدة، مع علمه أن الزوجين ليسا كاملين، لكنّهما كانا من نوع الأسَر التائبة، في بحث عن الله :" أعرف الآن، أنّه لو كانت بلادي على صورة هذه الجماعة العائليَّة الصغيرة، تعترف بانتهاكاتها وتندم عليها، لكانت ستعرف السلام الحالَ في هذه الأسرة حيث أقمت".

أريد أن أنقل إليكم قناعتي بأنَّ أسرة من الباحثين عن الله، في عالمنا الذي لم يعد يؤمن بالله، ولم يعد يؤمن بالحبّ، هي تجلّي وظهور لله، كما كانت العليقة المشتعلة في الصحراء التي لا تحترق، بالنسبة لموسى. إذا كانت حياتكم وحبّكم يقدّمان شهادة عن إله الحبّ، عندها وفقط عندها، عليكم ويمكنكم أن تحملوا شهادة الكلمة، التي تعكسها حياتكم.

شهادة الكلمة

غالبًا ما أسمعهم يقولون، "التحدّث عن الله، ألا يعني خيانته؟ لأنَّ الكلمات، الصور والمفاهيم هي غير ملائمة". صحيح، المسلمون صائبون بأن يعلِّموا أنَّ الإسم المئة لله، اسمه الحقيقيّ، هو غير معروف ولا يمكن وصفه، والأسماء التسعة والتسعون ليست سوى تخمينات. كتب الأسقف الأنغليكاني جون روبنسون في هذا السياق، من وقت قصير :" حين نتكلّم عن الله، كلّ كلماتنا مُقدَّرة أن لا تدركه". كان القديس أوغسطينس يفكّر بالطريقة ذاتها لكن ما لبث أن صحَّح. أقرأ :" ماذا يمكنه أن يقول، ذاك الذي يتحدَّث عنك؟ ومع ذلك، الويل للذين يسكتون عنك".

السؤال الذي يُطرَح ليس إذًا :" هل يجب التحدّث عن الله؟" بل "كيف نتحدّث عن الله حتى لا نخونه، حتى لا نخونه أمام أولادنا أولاً؟" هذا هو الجواب الذي أقترحه عليكم وسوف أوسِّعه. إنَّ إلهنا، بحسب التعبير البيبلي، هو إله محجوب، تصعب معرفته، لكنّه كشف عن ذاته بيسوع الإنسان، الذي جعلنا نعرفه على أنَّه الحبّ، وهو حاضر في قلب مخلوقاته. سأشرح باختصار هذا الجواب.

إلهنا إله محجوب، يصعب معرفته : لا يمكن حصره بصور ومفاهيم، لكن هذه القناعة بعيدة كلّ البعد عن إبعاد المؤمن عن الله، على العكس، تقرّبه منه وتحرّك فيه عبادته. غالبًا ما لاحظت هذا الأمر مع أولاد صغارفي السنّ. كتب القديس توما الأكويني كلامًا قويًا حول هذا الموضوع: " في غاية معرفتنا، نعرف الله على أنّه غير معروف، وهذه بالنسبة لروحنا، طريقة مثاليّة للغاية للتعمّق في معرفة الله والإعتراف بأن الجوهر الإلهي هو فوق ما يمكن للعقل أن يدركه هنا على الأرض". أي جعل الناس يعبّرون عن عظمة الله الفريدة،، التي تتجاوز حدود اللغة.

ومع ذلك، لكيّ يُعرّف الله عن نفسه، جازف وعبَّر باللغة. من هذه اللغة التي هي أوضح وأبلغ من أيّة لغة أخرى، تجسّد كلمته. القدير، لكي يقترب منّا دون أن يصطدم بنا، حتى نألفه، قد كشف لنا عن مجده لكنه مجبول بوجه وابتسامة إنسان. لقد نقل إلينا نار قداسته المُلتهمة، لكن بواسطة قلب بشريّ. بيسوع المسيح هذا، أعلن الله عن حبّه. أحبَّ الله البشر إلى هذا الحدّ، حتى جاد عليهم بابنه الوحيد. حبّ، هذا هو دون شك التصوّر والكلمة الأقل ملاءمة، ليجعلانا نعرف ما هو الله بالنسبة إلينا. لكن صحيح أنَّ هذا التعبير "حبّ" مُستَخدَم في غير موضعه بشكل رهيب، وحتى أنّه أصبح في النهاية مُلتبسًا. من المهمّ أن نهتم دائمًا بتحديد معناه. ألا يعود إليكم أيّها الأزواج، أن تُظهروا بحياتكم، بشكل أقل ما يمكن غير كامل، ما معنى كلمة حبّ. أجل، بفضل حبّ الرجل والمرأة، يجب أن يُوَجَّه البشر نحو السرّ الخفي.

يعود إليكم أيَضًا، أزواج وزوجات، أن تُظهروا باتحادكم، سرّ الله الثالوث إلهنا، الذي ليس هو في الواقع، هذا العازب الحزين البارد الذي يتحدَّث عنه رينيه دو شاتوبريان، بل هو شمس مُدَفِّئة، جماعة من ثلاثة أشخاص يحبّون بعضهم البعض. هنا أيضًا يجب الإسراع في الذهاب إلى أبعد من الأفكار وأبعد من الكلمات، إلى الحقائق التي تدلّ عليها، والصلاة الصامتة هي في النهاية أفضل سبيل للوصول إلى السرّ الثالوثيّ.

أخيرًا، لم نُخبر البشر بعد، عمّا يهمّهم أكثر من أي شيء، ما دمنا لم نعلّمهم بعد بأنَّ إلهنا ليس إله في مكان آخر، بعيد، بل هو قريب جدًا، حاضر، في قلب أبنائه. كان يفتقر مار أوغسطينوس إلى المعرفة، فتأخَّر في الإهتداء إلى المسيحيَّة، واعترف قائلاً:

" في وقت متأخّر، أحببتك. كنتَ في داخلي، وأنا كنتُ خارج ذاتي. كنتُ أبحثُ عنك في الخارج، وأنتَ كنتَ معي، وأنا لم أكن معك" . الله موجود في داخلنا، ينادينا، ينتظرنا، يعمل فينا من أجل تقديسنا، " أنا وأبي نعمل دون توقف" .

خلاصة

الكشف عن وجه الله الحقيقيّ للناس في عصرنا، هو مسؤولية الكنيسة كلّها، لكن يمكن أن تكون هذه مهمّة موكَلة إلى الأزواج بشكل خاص. مهما بدا هذا الأمر مُتطلِّبًا، يدعونا الأب هنري كافاريل إلى نشر الكاريزما الخاصة بنا كوننا زوجين متحابين. لأنَّ الأمر لا يتطلَّب أكثر من هذا. الزوجان البشريان المُتحابّان، يمكن اعتبارهما كتحفة الله الأكثر كمالاً. هكذا، أن نكون أسرة من "الباحثين عن الله"، في عالم لم يعد يؤمن بالله ولا بالحبّ، نصبح تجليًا لله، كما كانت العليقة المُشتعلة في الصحراء التي لا تحترق، بالنسبة لموسى.

إذا كانت حياتنا وحبّنا يكشفان عن الوجه الحقيقي لله، عندها يمكننا أن نستخدم الكلمة لنشهد له، لأنَّ كلماتنا عندها، تكون مدعومة بحياتنا كزوجين متحابين. وهذه تكون أفضل طريقة لعدم خيانتنا للإله – الحبّ. لتكن كلماتنا متجانسة مع حياتنا.

هكذا، يعود للأزواج المتّحدين بسرّ الزواج، أن يدعوا، من خلال اتّحادهم، سرّ الله الثالوثيّ يظهر، هذا الإله الذي هو جماعة من ثلاثة أشخاص يحبّ أحدهم الآخر. يجب أن نقوم بهذا بدون تأخير، لأنَّ مسؤوليتنا كبيرة. بهذه الطريقة نتجنَّب ندم القديس أوغسطينوس في مسألة إهتدائه المُتأخّر:

"في وقت متأخّر أحببتك، أيّها الجمال القديم والجديد، في وقت متأخر أحببتك. كنتَ في داخلي، وأنا كنتُ خارج ذاتي! كنت أبحث عنك في الخارج، أنقض على الأشياء التي أنتَ خلقتها. أنتَ كنتَ معي، لكنّي لم أكن معك".

واجب المجالسة

لتحضير واجب المجالسة

ما هو هذا النبع الآتي من الأب هنري كافاريل، أو بالأحرى الذي يمرَّ به، والذي يعطي لفرق السيّدة طابعها الخاص والكاريزما الخاصة بها ؟ إنّها الصلة الحميمة بين الروحانيَّة والرسالة، الوحي الداخلي والإلتزام الحقيقيّ في الكنيسة وفي المحتمع.

لا يمكننا فصل هذين العنصرين المُكوّنين للدعوة المشتركة للحركة. في العمق، هناك هذه القناعة الأساسيَّة : الحياة الروحيَّة ليست مجالاً مُخصَّصًا لنخبة من المسيحيين الذين يجعلون منها أمتيازًا واختصاصًا لهم. إنَّها مفتوحة للجميع بواسطة الروح القدس الذي نلناه في المعموديّة: للجميع، رجال ونساء متزوجين، مصدرها سرّ الزواج. لا يجب البحث في مكان

آخر عن أساليب أو سُبُل للقداسة : الـ "نعم" في الإلتزام الزوجي هي مصدر حياة قداسة، حياة تلاميذ ليسوع المسيح، لأن هذه الـ "نعم" هي أبديَّة في عهد الله المقدَّس بسرّ الزواج، بحيث أنَّ رسالة الزوجين في الكنيسة وفي المجتمع تتجذَّر في وجود رجال ونساء يعيشون من هذا العهد المقدّس. (...)

السؤال الذي يُطرَح اليوم على حركتنا، على كلّ فرقة وعلى كلّ عضو فيها هو : كيف يمكننا أن ننقل إلى جميع الأزواج المسيحيين، العطايا التي تلقيناها بانضمامنا إلى حركة الروحانيّة الزوجية هذه؟ الحاجات الآن أكبر بكثير من أيّ وقت مضى في تاريخنا، والفعلة قليلون. من السهل ترك الأمر لغيرنا، لكن حين نفكِّر بكل ما تلقيناه وبالفائدة التي عادت إلينا شخصيًا، بازدهار روحانيتنا كزوجين، وبالسند الذي تلقيناه في أسَرِنا التي أصبحت كنائس بيتيَّة، عندها نفهم أن لدينا مسؤوليَّة حقيقيَّة.

إقتراح أسئلة لواجب المجالسة

١- " ينتظر العالم المُلحِد، دون شك، من حبّكم الزوجي ومن أسرتكم شهادة أساسيَّة".

كيف نكون الشهود الذين ينتظرهم العالم؟ تجاه من نحن شهود أصحاب امتياز وبأيّة طريقة؟ كيف لنا أن نتقدّم في هذا؟

٢- " أن تعيشوا كلّ يوم حبّكم بطريقة أكمل، وأن تعملوا على أن ينشر كلّ إمكاناته، أن يكشف عن ذاته، أمينًا، فرِحًا وخصبًا".

مع إدراكنا بأنَّ هذا الأمر يتخطّى قوانا الذاتيّة وحدها، هل يمكننا أن نشهد على أنَّ المسيح المُخلِّص وحده يمكنه أن يعطينا النِعَم الضروريَّة لننشر حبّ أمين، فَرِح وخصب؟ في أيَّة ظروف أظهر لنا ذاته، وكيف يمكننا أن نتشارك بهذه التجربة المفيدة للغاية لنا نحن الزوجين؟

إلى أيّ مدى يمكننا أن نفهم بشكل كامل هذه العبارة الشهيرة للأب هنري كافاريل : " أريد أن أكون قد نقلت إليكم قناعتي بأنَّ أسرة من الباحثين عن الله هي، في عالمنا الذي لم يعد يؤمن بالله، ولم يعد يؤمن بالحب، تجلّي لله ..."؟

٣- أوّل مكان للشهادة هو عائلتنا : أولادنا، أهلنا، أخوتنا وأخواتنا، أبناء الإخوة والأخوات... أبعد من شهادتنا عن حياتنا كزوجين، ومن شهادتنا عن الحبّ، في أيه ظروف عبّرنا بكلمات لنشهد عن جمال حبّ حيث أن الله حاضر بالفعل في قلب حياتنا؟

٤- ماذا تفعلون للإعتناء بزواجكم؟ ما رأيكم لو اقتربتم من أزواج حديثي العهد، بلطف وبالحسنى، في أماكن مختلفة من وجودكم، لتواجهوهم بهذا السؤال؟

٥- لنأخذ بعض الوقت لإعادة قراءة سنتنا في فرق السيدة. بماذا تطوّرت طريقتنا بتقديم ذواتنا لشريكنا في الأمور الماديّة، في الأوقات الحميمة، في الحياة الروحيَّة، وبتقديم ذواتنا للآخرين ولله ؟

إجتماع الفرقة

الإصغاء إلى كلمة الله (يو ٣، ١٣- ١٧)

ما صعد أحدٌ إلى السماء إلاّ ابن الإنسان الذي نزل من السماء. وكما رفع موسى الحيَّة في البريَّة، فكذلك يجب أن يُرفعَ ابن الإنسان . لينال كلّ من يؤمن به الحياة الأبديَّة. هكذا أحبَّ الله العالم حتى وهب ابنه الأوحد، فلا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة. والله أرسل ابنه إلى العالم لا ليدين العالم، بل ليُخلِّص به العالم.

لتحضير الإجتماع : إقتراحات أسئلة

١- منذ أكثر من ٦٠ سنة أشار الأب هنري كافاريل إلى الحاجة المُلِّحة لشهادة الزوجين المسيحيين في عالم غلب عليه الإلحاد، خاصة اليوم. هل نحن مُقتنعون بهذا؟ ماذا فعلنا بهذا الخصوص منذ زواجنا؟ ماذا نفعل اليوم؟ نقوم بالشهادة من أجل الله أو من أجل إخوتنا؟ لنوضح جوابنا.

٢- لنتبادل الحوار حول الطريقة التي يمكن بها لحبّنا الزوجيّ أن يكون إنعكاسًا للحبّ الذي بين الأقانيم الإلهيَّة الثلاثة ؟ كيف يمكننا أن نتصرَّف حتى يكون هذا الحبّ (الروح القدس) حاضرًا بشكل أكبر بيننا نحن الزوجين ، ويمكننا أن نشهد أكثر فأكثر على حسناته ؟ هل يمكن للفرقة أن تساعدنا في هذا الأمر؟

٣- طوال هذه السنة، كانت أسئلة واجب المجالسة أو إجتماع الفرقة تتمحور حول شهادتنا كزوجين مسيحيين. لنتحاور حول الطريقة، والظروف التي استطعنا فيها أن نشهد، لنتحدّث عن جمال، لكن أيضًا عن ضرورة عيش حبّ زوجيّ مرتكز على حضور حيّ للمسيح فينا وفي قلب أسرتنا؟

الفصل التاسع

تقييم

لهذا الفصل بنيّة مُختلفة عن إجتماعات الفرقة الأخرى التي قمنا بها طوال السنة، هدفه هو إعادة النظر بمسيرتنا على الصعيد الشخصي، والزوجي، وفي الفرقة، على ضوء ما عشناه. يُراد من هذا الإجتماع التقييميّ أن يكون وقتًا للتفكير في السنة المنصرمة، كلّنا معًا وتحت نظر الربّ. إنّه يشبه اجتماع الفرقة، وقت مشاركة ومساندة في جوّ من الصلاة، من الحقيقة والشراكة.

المهمّ تحضير هذا الإجتماع، نحن الزوجين معًا، في نهاية السنة، نُقَيِّم كلّ ما عشناه، نُفكِّر بنقاط القوّة وبنقاط الضعف التي يجب أن نشدِّد عليها في درسنا للموضوع التالي، ونتحضَّر لإنتخاب الزوج المسؤول الجديد عن الفرقة. هناك خيار آخر ممكن، وهو أن يحصل هذا الإجتماع في إطار إفخارستيا، نعيشها مع الفرقة، وتكون الإقتراحات مُكيّفة مع مختلف الأجزاء.

نقترح كنواة لهذا الفصل قراءة بعض المقاطع للأب هنري كافاريل من كتاب : " من أنتَ أيَها الحبّ" ؟ ١٩٧١، التي تضمّ بعض الأفكار التي عملنا عليها في موضوع الدرس هذا.

"على الرجل والمرأة أن يعيشا الإلفة. على كلّ واحد منهما، كلّ يوم، أن يكون لديه الإرادة أن يجعل الآخر يحبّه، وبالنسبة إليهما أيضًا، كلّ شيء قد تغيّر. الجميع يهتمون "بتجهيز قلوبهم" قبل أيّ لقاء. خاصة وأنَّ كلّ واحد بحاجة للآخر، وهذا الأمر بالغ الاهميّة في الحبّ. لكن هناك فرق بين حاجة وحاجة : هذه ليست سوى جشع أنانيّ، وتلك هي تواضع القلب، وهذه الحاجة بالتحديد، التي تهمّ الحبّ بشكل كبير. كلّ واحد يميّز بالآخر الكائن "الفريد" الذي "لا نراه جيدًا إلا بالقلب"، ويعرف ويريد أن يكون مسؤولاً عن هذا الكائن الفريد، لأنّنا مسؤولون إلى النهاية عن الكائن الذي جعلناه يحبّنا ذات يوم". (ص ٢٦)

" يتطلَّب الحبّ أن نتشارك بكلّ شيء، في السرّاء والضرّاء، أن يحمل كلّ واحد عبء الآخر، أن نعيش كلّ شيء معًا. حين نكون مُتحابين، لا يعني الأمر أن نأخذ وأن نترك، بل أن يتحمّل أحدنا مسؤولية الآخربشكل كامل، وأن نتقبّل بعضنا البعض، ويعطي واحدنا ذاته للآخر كما نحن. دون التخلّي طبعًا، عن مساعدة أحدنا للآخر ليصبح كما يجب أن يكون". (ص ٣٩)

" الحبّ هو" تواطؤ". (...) الأنا الخاص بكلّ واحد يتّفق مع أنا الآخر. إنّه أكثر من إتّفاق : إثنين "أنا" معقودين. وهذه الصلة تعطي كلّ واحد منهما هذا الأمان الذي، حتى ولو أصاب التغيير، ليس فقط الناحيّة الجسديّة بل الأخلاقيّة أيضًا، سيبقى محبوبًا من قِبَل شريكه، لأنّه

محبوب لا من أجل هذه الميزة الجسديّة أو الأخلاقية أو تلك، ليس من أجل هذا الفعل أو ذاك، بل لأجل "ذاته"، لأجل ما هو فريد فيه، ما يبقى فيه بالرغم من كلّ التغيّرات وحتى الموت. معرفة كهذه، هي في أساس الحبّ، لا نكتسبها هكذا نهائيًا، فهي تتطلّب عملًا يوميًّا دؤوبًا، وإلا سرعان ما تضعف". (ص ١٠٣)

أن نكون حاضرين للشخص الذي نحبّ، يعني أن ننظر إلى"الأنا" العميقة خاصته. أن نكون منتبهين إليه بشكل كبير. وبهذا الإهتمام نقدِّم له ذاتنا عطيّة، أفضل ما في ذاتنا. لدرجة أن يشعر المحبوب أنَّه محميّ، مُصان، مُحافَظ عليه باهتمام الحبّ هذا. يعرف أنَّ وجوده الزمنيّ لكن خاصة ذاته الحميمة، ومصيره الروحيّ، كلّ هذا قد أُخِذَ على عاتق الآخر. يعرف عندها هذا الشعور الذي يجب أن نسمّيه بـ " الأمان"، لكن بشرط أن نعطي هذه الكلمة كلّ ثقلها الروحيّ". (ص٦٨)

واجب المجالسة

١- لنأخذ بعض الوقت لنعيد قراءة حياة الفرقة خلال هذه السنة. بأيّة طريقة تغيّرت طريقتنا في تقديم ذاتنا لشريكنا، في النشاطات اليوميَّة، في الأوقات الحميمية، في حياتنا الروحيّة، وفي تقديم ذاتنا للآخرين ولله؟

٢- يمكننا أن نعلِّق على ما اقترحته علينا هذه النصوص الأخيرة للأب هنري كافاريل عن حبّنا الزوحيّ.

٣- كيف يمكننا، بفضل شراكة عميقة مع شريكنا، أن نشعر أننا تقوّينا لنباشر بالتزاماتنا العائليّة، المهنيَّة، الكنسيَّة، وحياتنا حيثما وُجدنا؟

إجتماع الفرقة

قراءة كلمة الله (سفر الجامعة ٤، ٩- ١٢)

إثنان خير من واحد، لأنَّ لهما جزاءً أفضل على عملهما معًا. إذا وقع أحدهما أقامه رفيقه. واالويل لمن هو وحده، لأنّه إذا وقع لا أحد يقيمه. وأيضًا إذا اضطجع اثنان كان لهما دفء، أمّا الواحد فكيف يدفأ ؟ وإن كان الواحد يغلب الواحد، فالإثنان يقاومانه. والخيط المُثلَّث لا ينقطع سريعًا.

لنحاول أن نقدِّم في جوّ من الصلاة، على ماذا دلّ، لكلّ واحد منّا، لنا نحن الزوجين، لعائلتنا ولفرقتنا، هذا البيان عن الحبّ الزوجيّ.

يمكن أن يحصل أيضًا اختيار الزوج المسؤول الجديد في هذا الجو من الصلاة.

• يمكن للزوج المسؤول الحالي أن يعلِّق على الطريقة التي عاش فيها المسؤوليّة.

• يمكن للفرقة أن تبدي رأيها حول ما إذا كانت تنتظر " طريقة تنشيط" خاصة من قِبَل الزوج المسؤول الجديد.

◄ إختيار الزوج المسؤول الجديد

يمكننا أن ننهي الإجتماع بالصلاة معًا :

يا ربّ، اجتمعنا باسمك. نحن مع الشخص الذي جمعنا به سرّ الزواج. نحن أيضًا مع الأزواج أعضاء فرقتنا، لنهتم ببعضنا ونحملهم بصلاتنا. أعطنا يا ربّ، أن نعرف ما هو أساسيّ لحياتنا الإيمانيَّة، وافتح قلوبنا وضمائرنا لتصبح فرقتنا أكثر فأكثر جماعة أخويَّة في خدمتك.

أسئلة لتحضير اجتماع الفرقة

١- كيف عشنا نقاط الجهد الملموسة هذه السنة، وخاصة واجب المجالسة؟

٢- كيف سارت المشاركة الروحيّة؟

٣- كيف أصغينا بعضنا لبعض، واحترمنا وساندنا وشجّعنا بعضنا البعض؟ هل استطعنا جميعنا المشاركة، هل شعرنا أنَّنا قادرون على التواصل فعليًا؟

٤- كيف ساعدنا الموضوع على أن ننمو في حياتنا الزوجيّة؟ أيَّة جوانب شكّلت مصدر غنى لحياتنا نحن كزوجين؟

من كلّ ما عشناه هذه السنة :

• ما الذي يجب أن نتابعه؟

• ما الذي يجب تغييره؟

مُلحقات

تسبحة مريم

تعظِّم نفسي الربّ،

وتبتهج روحي بالله مخلّصي !

لأنَّه نظر إلى تواضع آمته،

فها منذ الآن تطوّبني جميع الأجيال.

لأنَّ القدير صنع بي العظائم،

واسمه قدّوس !

ورحمته من جيل إلى جيل،

للذين يتّقونه.

صنع عزًا بساعدته، وشتت المتكبرين بأفكار قلوبهم.

حطَّ المقتدرين عن الكراسي، ورفع المتواضعين.

أشبع الجياع من الخيرات،

والأغنياء أرساهم فارغين،

عضد إسرائيل فتاه، ذاكرًا رحمته،

كما كلّم ابراهيم ونسله إلى الأبد.

المجد للآب والإبن والروح القدس، إلى أبد الآبدين.

آمين.

صلاة لتطويب الأب هنري كافاريل

اللهمّ، يا أبانا،

لقد وضعت في أعماق قلب عبدك هنري كافاريل،

توقًا إلى الحبّ يربطه بلا قيد أو شرط بابنك، ويوحي إليه بأن يتكلّم عليه.

كان نبيًا من أنبياء زمننا، لقد أظهر لنا كرامة ودعوة كلّ إنسان منّا وجمالها،

كما قال يسوع لجميع الناس : "تعالَ واتبعني".

حمَّس الأزواج لعظمة سرّ الزواج، الذي يعني سرّ الوحدة والحبّ المُثمر بين المسيح والكنيسة.

ودلَّ على أنَّ الكهنة والأزواج مدعوون لأن يعيشوا دعوة الحبّ.

وأرشد الأرامل لأن الحبّ أقوى من الموت.

دفعه الروح القدس إلى إرشاد العديد من المؤمنين إلى درب الصلاة.

واستولت عليه نار ملتهمة، لأنّك كنتَ تسكنه، يا ربّ.

اللهمَّ، يا أبانا،

بشفاعة سيدتنا مريم، نسألك أن تستعجل يوم تعلن الكنيسة قداسة حياته،

لكي يجد جميع الناس فرح السير على خطى ابنك، كلّ واحد بحسب دعوته في الروح القدس.

اللهمَّ، يا أبانا، نلتمس الأب كافاريل لـ ... (تحديد النعمة التي تُطلَب).